العائد من الجليد
رواية
حياتي سوزان سوسن

إهداء

إلى القارئ المفضل:

"انت المشتري في مجموعتي الشمسية"

"كل الاحترام والتقدير"

الى القراء الاعزاء والفقراء منهم الذين لا يملكون ثمن اقتناء الروايات الورقية لا تقلقو أنا هنا في تحالف مع الpdfلأجلكم سنكتب الكلمات لتحسو بها وليس لتشتروها فحتى أنا لا أملك ثمن طبع نسخ ورقية أخبركم لأنه لا اسرار بيننا

إلى الأوفياء الذين يتبعون كلماتي في كل مرة بنفس الحماس إليكم أكتب
وأصطاد الشغف وأتعلم لأكون عند حسن ظنكم ولأرضي فضولكم
وعقولكم أنتم الذين يبنيني مدحكم ولا تهدمني انتقاداتكم البناءة

كل الحب "سوسن"

مقدمة :

"نكتب لنعيش كل الاحتمالات"

في رواية خيالية نطلق مشاعر وتجارب حقيقية

شخصيات سكنت الخيال فأرجو أن تسكن القلوب

مني الكلمات ومنكم الآراء

"ملاحظة"

الأحداث خيالية لا تمد للواقع بصلة

عندما نضع إسم الشخصية أمام النص فهذا يعني أن الشخصية هي من تروي القصة .

استمتعو

"جبالي سوسن سوزان"

ا لفصل الأول

“قبل العاصفة الثلجية”

“لن أعلن انـهياري أنا مصاب بجنون الاستمرار رغما عن قساوة الطريق الموحش “

“أصيل”

“مقيد وحيد في مختبر يتلقى صعقات كهرباء تؤلم جسده لكنه لا يكترث لأنه مات في ذلك اليوم الذي قرر فيه اتباع قلبه “

“روسيا”

في ديسمبر البارد خلال موسم احتفالات عيد الميلاد في بلاد الثلوج وبياض الأسطح وأنوف العرق الأبيض الحمراء في روسيا الجامحة .

تنطلق من شقة مجهولة صرخة ميلاد معلنة عن ولادة طفلة بين أصوات أجراس الكنيسة تضع "آنا "مولودتها وحيدة بينما الأب" محمد "يواجه مسدس أخيها آرون الغير مكترث لشيء كل ما يهمه القضاء على هذا الغريب الذي جاء بلادهم وتزوج أخته وخالفه وتحداه دون خوف هو الذي يخشاه الجميع وترتعش أقدام أقوى الرجال أمام حضرته .

آرون بغضب مدمر بعد أن حاصر مع رجاله المكان الذي يختبئ فيه محمد يضع مسدسه المدجج بالرصاص في جبهة الأسمر الذي ينظر إليه بكل ثقة ..

محمد :أنا لا أخشى الموت ولو خشيته من قبل لما خاطرت بالزواج من ابنتكم وأنا أعلم حقيقتكم وصعوبة الوضع لكن حين ينادي القلب لأجل الحب لن يستمع العقل ،فإن كان فيك ذرة رحمة أتركها تعيش بسلام واقتلني ان كنت تريد لكن دع عائلتي وشأنها .

آرون:لقد حذرتك أيها الغبي لكنك أردت أن يكون عمرك قصيرا ،ستموت في اليوم الذي ستصبح فيه أبا اعلم أنها على وشك الولادة لكنك لن تراه أو تلاعبه يا لها من قصة حزينة ،اما هي فحسابها بعد أن أحرق جثتك المقرفة .

وما إن ضغط على الزناد حتى تعالت أصوات رصاص في الخارج ليأتي أحد رجال آرون صارخاً"سيدي هناك مسلحون مجهولون يطلقون النار علينا "

آرون :اقضو عليهم سأكمل مهمتي وآتي .

وما إن أكمل جملته حتى دخل شاب ملثم بعيون عربية سوداء بيده مسدس يوجهه لآرون مهدداً"إما أن تبعد مسدسك عنه أو أقرأ على روحك السلام " وفي لحظة خاطفة يوجه إليه آرون المسدس "ومن أنت أيها الوضيع حتى تهددني ؟"ليستغل محمد الفرصة بينما يحصل اشتباك في محاولة لإيجاد طريقة للهرب فهؤلاء الشبان الذين يشتبكون مع رجال آرون هم أصدقائه ومساعدوه جاؤوا بعد أن علمو أنه في خطر وعليه أن يهرب بعائلته خلال هذه الفوضى ،لكن من الواضح أن الفتى الملثم ليس ندا لهذا الجسور الذي يعتبر القتل هواية ،وما هي إلا لحظات حتى قضى عليه بطلقة في الصدر هذه الطلقة التي فتحت أبواب الجحيم أمام محمد لا مجال للهرب الآن سيقضي عليه هذا القناص فكيف لرجل أعزل أن يواجه آرون ورجاله .

يقف محمد أمام الموت مواجها جلاده في مسرحية من إخراج الحياة يوصيه بآنا والمولود على أمل أن يوقض شرارة رحمة في قلبه ليرحمهما.

ثواني ...رصاصة واحدة سقطت جثة الرجل الشاب بعد نطقه الشهادة تحت أنظار صاحب العيون الرمادية ذو القلب الأسود .

آرون :ارمو بجثته بعيداً او احرقوها لدي عمل سأبحث عن تلك المتمردة لأرسلها له ،عيب أن نفرق بينهما في الحياة وبعدها .

وانصرف بينما الرجال يشعلون النيران في تلك الجثث المقتولة وغادرو تاركين شرارات اللهب تحرق المكان واندلعت نيران كجهنم تأكل الأخضر واليابس .

" الجزائر بعد سبع سنوات "

تفتح تلك النافذة في بلاد الدفء والشمس المشرقة التي تنثر سحرها على عيون عسلية لطفل في السابعة يستيقظ بنشاط ،يبتسم كالعادة رائحة خبز أمه تملأ المنزل كله ليركض بفرح كبير بعد أن نظر من النافذة.

أصيل :مرحى الجو صحو لا توجد أمطار سأذهب لمنزل ماريا .

تسمعه أمه فتصرخ فيه "كم مرة أخبرتك أن لا تذهب لمنزل تلك العائلة نظف وجهك وتناول فطورك وابق عاقلا لا تنسى ضربات والدك أمس لن ادافع عنك هذه المرة "

ليتذكر الصغير ما حصل ويخاف قليلاً .

أصيل:"في نفسه"ماذا افعل اليوم عيد ميلاد ماريا ولا بد أن أذهب إن لم أحضر لها هدية لن يفعل أحد الجميع يلقبها بالروسية المخيفة ولا يحبونها ستحزن كثيراً لابد أن أجد خطة لكن ماهي ؟

وماهي إلا لحظات حتى دخل والده المنزل فقد ذهب باكراً خلال الظلام لأحد جلسات القمار في الحي وعاد خاسراً كالعادة والآن سيفرغ غضبه على أصيل المسكين وأمه الضعيفة ،لكن على عكس المتوقع دخل الغرفة التي أمام الباب الخارجي ودفع نفسه على السرير وغط في النوم ،تحت أنظار الأم وطفلها الفرحين لن يكون هناك أي ضرب أو صراخ لساعات قليلة حتى موعد استيقاظه،وهنا جاءت أصيل الصغير فكرة أن يهرب من المنزل قليلاً خلال ذلك الوقت ويعود بعدها ولن يهمه إن تعرض للضرب المهم أن يكون مع ماريا خلال هذا اليوم .

أصيل :امي هل تمشطين لي شعري ؟

الأم:حسنا عزيزي لكن عدني أن تكون عاقلاً .

أصيل :بضحكة ماكرة "حاضر "

تمشط شعره الأسود بحنان رغم حزن قلبها الطيب ،لكن أصيل طلب منها ربطه ليبدو مظهره مختلفاً لتحظر رباط شعر أزرق وتضعه على شعره الجميل ليصبح أجمل طفل في العالم.

" روسيا في سان بترسبرغ "

في غابة من الغابات المعزولة يقود رجال أحد عصابات المافيا أشخاصاً مخطوفين يدل مظهرهم على تعرضهم للتعذيب وذلك واضح من كدمات وجروح على اجسادهم وما إن يتوقف أحدهم عن السير حتى يجلد بقوة إلى أن وصلو لمكان محروس حراسة مشددة ،يقف أمام الباب رجل يرتدي ملابس بيضاء كملابس الأطباء في ياقته شعار علم النفس واضح للعيان ،ويبدو أن المكان مختبر ما يعج داخله بالأطباء ومختصي الأعصاب والبرمجة

يشير ذلك الطبيب للرجال بالدخول ويطلب من الحراس الإنتباه واليقظة .

الطبيب :قودوهم للداخل وقيدوهم سأنتظر قدوم السيد ألكسندر حتى ابدأ التجربة .

ماهي إلا لحظات حتى تم اقتياد الرجال الى قبو مظلم ليشعل أحد الحراس نورا ساطعاً ليظهر المختبر وكل مافيه ،سلاسل بأغلال على الجدران ،لا ترى سوى بياض المكان الذي يكاد يعمي الأبصار لشدته وسط هلع الرجال ماذا سيحدث لهم ؟هذا ما كان يشغل تفكيرهم .

تتوقف سيارة أمام ذلك المكان سيارة فاخرة سوداء يخرج منها عجوز أبيض الشعر بعيون زرقاء يبدو عليها الغضب يحمل عصا بيده مرتديا بدلة سوداء أنيقة يخيل إليك أنك تلمح أحد رؤساء العالم ،نعم إنه" ألكسندر ليفيتش " صاحب أحد أقوى عصابات المافيا في روسيا كلها وهاهو يمشي

باتجاه الباب حيث يقف ذلك الطبيب مرتجفا فأي مخالفة لأوامره تعني الموت .

الطبيب: أهلا بك سيدي ،كل شيء جاهز الرجال موجودون وما علينا فقط سوى إجراء التجربة حسب أوامرك.

الكسندر: حسنا سأعاين الأمر لا أريد خطأ واحد إن لم نتقدم في المهمة سيسبقنا المعتوه "آرون " وتكون الغلبة له ويصبح قطب مافيا" تسيفو" صاحب السلطة وحينها سأقضي عليكم دون رحمة .

ليشتعل الخوف في قلب هذا الطبيب الذي ورط نفسه في سبيل المال وهاهو بين قطبي أقوى العصابات في روسيا مافيا "تسيفو "بقيادة آرون ومافيا "ليفيتش"بقيادة ألكسندر "حيث يسعى كل من القطبين للوصول إلى ابتكار اقوى الأسلحة وإخضاع أقوى الرجال والحصول على الثروات والأموال لا يهم الوسيلة في هذه الحرب مادامت ستقود إلى الغاية الكبرى ،آرون بقدراته وحنكته حتى أن بعض القوى السياسية تسانده أما ألكسندر فهو في مستوى أعلى من إخضاع الناس وترهيبهم بمختلف الطرق يقود اليوم وكرا للتجارة بالبشر نحو هدف أكثر تدميراً للوصول إلى غاية أعظم مما تتخيله كبرى العصابات في البلاد .

يراقب ألكسندر مجريات التجربة بينما الرجال يتألمون يسمع فقط صراخهم ونحيبهم أمام مرأى العجوز الذي لم يكترث لهم ،فليس من المعقول أن يرحم تجار البشر هؤلاء المساكين الذين قادتهم الظروف من كل بلدان العالم ليجدو أنفسهم في أيدي قوة لا غالب لها سوى الله .

كان كل هذا التعديب يحصل أمام عيون بريئة تنزل منها الدموع يختبئ صاحبها خلف أحد الأعمدة ولسوء الحظ وبينما يحاول الفرار هارباً حتى انتبه له الحراس وسمع صوته .

ألكسندر: غاضباً: من هناك خلف العمود ؟

أحد الحراس:يرتجف :سيدي إنه "ديميتري "حفيدك السيد الصغير أعتقد أنه تسلل من السيارة إلى هنا حين أتيت فقبل أن تأتي لم يكن هناك أي أحد في المكان .

ليبتسم ألكسندر فهو يحب أن يتمرد حفيده هذا يشعره أنه قوي وقادر على خلافته .

الكسندر:ديميتري ؟تعال إلى هنا .

ليختبيء الفتى خلف الحارس" لا أريد أنا خائف "

الكسندر: خائف !مما رأيت ،كيف تخاف انت حفيد الكسندر وريث عائلة ليفيتش ومستقبلها احضروه ليرى المنظر عن قرب .

الطبيب:سيدي هذا ليس جيدا له إنه صغير عمره سبع سنوات فقط لن يحتمل .

الكسندر:يقهقه بقوة: الآن تذكرت أنك طبيب ! إنه دميتري مولود في المافيا بين الرصاص وتجار البشر والقتلة المتسلسلين على كل سيرى هذا عاجلاً أم آجلاً .

ويقترب من الطفل الذي اشتد بكاؤه ليحمله ويرفع جسده الصغير في الهواء مما زاده رعباً .

الكسندر:أترى هؤلاء؟ سأجعلهم اقوى واشرس واغزو بهم البلاد وأصل بهم للسلطة وأنت مستقبلا ستكمل طريقي أنظر جيداً لما يستطيع جدك فعله .

ويأمر الرجال بصعقهم أكثر بينما الطبيب يغرز فيهم إبرا يضع فيها رقاقات خاصة بتجربته وسط الصراخ ورهبة الطفل الذي يكاد يغمى عليه (تفاصيل التجربة تشرح في الفصول القادمة)

هذا المشهد سيبقى محفورا في ذاكرته حتى ينقطع نفسه من الحياة .

"الجزائر"

يتسلل أصيل بعد أن دخلت أمه المطبخ يراقب باب الخروج يبحث عن فرصة لمغادرة المنزل يمشي كالسارق على أطراف الأصابع ،يفتح الباب بحذر شديد كي لا يحس به أحد وهاهو خارج البيت ليركض بسرعةويهرب ،تغمره السعادة المؤقتة فهو يعلم أن العقاب ينتظره حين يعود ،لكن حين تجد فرصة لتشعر بالقليل من الفرح وسط تسلل الادرينالين لجسدك قم باستغلالها لأن العواقب لا تهم في مثل هذه الظروف .

يصل إلى منزل ماريا بسرور حاملاً وروداً جميلة طلبها من جارته الغاضبة التي رفضت في البداية ثم غيرت رأيها بعد أن حدق بها ببراءة وابتسامة ودودة تجعل من يراه يحبه فوراً ،فتحت الخادمة ذلك الباب المحفور بالخط الروسي ليرى أصيل وجها غير مألوف يبدو أن الخادمة جديدة .

الخادمة :سيدتي هناك ولد على الباب يقول إن اسمه أصيل جاء ليرى ماريا .

آنا : ادخليه فوراً إنها تنتظره في الأعلى.

ليفرح الطفل خاصة بعد سماع جملة "إنها تنتظره "

وفي الأعلى كانت ماريا تمسك بطفلة أخرى تقوم بضربها لأنها وجدتها تلعب بدمية الماتريوشكا خاصتها .

ماريا : أيتها البلهاء هذه لعبتي اتركيها من يدك المتسخة إن فعلتي هذا مجدداً سأشدك من شعرك ايتها القبيحة .

لتبدأ مريم الطفلة بالبكاء فتشدها الأخرى من شعرها وتلصقها على الأرض وترمي عليها صندوق الألعاب مما أحدث فوضى جعلت الجميع يسمعها .

تصعد الخادمةو الأم آنا مع أصيل بسرعة بعد سماع الفوضى وما إن يدخل الجميع حتى يرو ما حدث الطفلة مريم تبكي بألم وماريا تقتلع شعرها بقسوة إلى أن تلقت صفعة من أمها ،أما الخادمة فتمسك مريم وتضربها هي الأخرى .

الخادمة:أنا آسفة سيدتي إبنة أخي تحدث المشاكل دوماً اينما تذهب سأضربها ولن تكررها مجدداً .

آنا :فاطمة لا عليك أعرف ابنتي جيداً أنها أنانية وتتصرف بلؤم مع جميع الأطفال انظري حتى أنه يوم عيد ميلادها ولم يأتي أي طفل لزيارتهاسوى أصيل المخدوع .

لتبتسم الشقراء فور سماع اسمه وتركض إليه لكنه هذه المرة غاضب لأنه رأى ما حدث ،وأشفق على الطفلة التي تلمحها عمتها بنظرات تهديد تتوعدها أنها ستنال العقاب لاحقاً.

آنا:ماريا تعالي إلى هنا واعتذري لمريم بسرعة وإلا ستذهب هي وفاطمة من المنزل وأبقيكي وحدك وامنع أصيل من المجيء.

لتخاف الفتاة وتعتذر بسرعة وتبتسم لها أمام أنظار أمها التي رضيت عنها وخرجت هي وفاطمة وتركو الأطفال وحدهم .

ماريا:لا تظني أنك نجوتي بفعلتك خلال الليل حين ينام الجميع سأعقابك بشدة .

أصيل:دعيها وشأنها إنها مسكينة وتبكي .

ماريا: إنها يتيمة غبية وخادمة لا تتوقف عن البكاء بسببها عاقبتني أمي دعنا منها ستحضر أمي كعكة عيد ميلادي وسأريك ثوبي الجديد إبقى هنا سآتي .

ليخفي أصيل وردة في جيبه ويعطي باقي الورود لماريا بينما تفرح وتغادر يستدير لمريم ويقترب منها ويقدم لها وردة تتردد في قبولها خوفاً من ماريا وعمتها فأي تصرف خاطئ يجعلها تنال ضربا وتوبيخا .

أصيل:لا تخافي إنها لكي انا أصيل اسكن قريباً من هنا انا وماريا ندرس معا ،أين تدرسين ؟

مريم :.....صمت .

لتدخل ماريا " هل تحاول أن تكلمها إنها لا تقول شيئا لأنها غبية مجرد طفلة بكاءة"

أصيل:دعيها وشأنها لا تكوني هكذا ،مريم هل ستسكنين هنا ؟هذا رائع يمكن أن نصير اصدقاء إذا اردتي.

تبتسم الفتاة مطولاً وتهز رأسها علامة على الموافقة .

أصيل:لنلعب لعبة إذا نحن الثلاثة قبل أن تحل الحفلة .

ترتدي ماريا ثوبها الجديد وتتفاخر أمام الطفلين بألعابها لأنها تعلم أنها الأجمل والطفلة الأكثر اختلافاً بأصولها الروسية الجزائرية التي تميزها

عن غيرها ،بينما يراقب أصيل بكل إعجاب تتمنى مريم لو كانت تملك ما تملكه لكن الفقراء في طفولتهم لا يحملون كنوزا بل أمنيات تختبئ في فكرهم تغنيهم عما يستطيع الأثرياء الوصول إليه .

في نهاية الحفلة تجلس آنا بعد أن غادر أصيل ونام الجميع لتتذكر مجريات حدثت في مثل هذا اليوم قبل سبع سنوات حين تلقت خبر موت زوجها على يد أخيها فتصلي على روح أحدهما بينما يموت الآخر حيا في نظرها ،كان يوماً عصيبا على إمرأة تمنت العيش بسلام بعيداً عن عائلة تقتات على القتل والاجرام يجبر أفرادها على إكمال طرقات آباءهم الوعرة الخطيرة ،وفي متاهات الأيام تختار أن تبتعد عن برد روسيا إلى الجزائر الدافئة بعد هروب شاق نجت فيه بنفسها ونفس طفلتها على أمل أن تعوضها فقدان أبيها بهواء بلاده المشرقة بعيداً عن أخطار عائلة"تسيفو "التي لن تدعها بسلام ،تنظر إلى صوره وتستعيد الذكريات وتفكر أنه كان سيكون أروع أب وربما كانت ابنته ستكون أسعد فتاة ولن تشعر بالغربة دون أب .

آنا :في نفسها عندما تصبح شابة سأحدثها عنك كثيرا وعن قصتنا لتعرف أن لها أبا بطلا رحل باكراً كالملاك .

تمضي الايام بسرعة ولا شيء يتغير أصيل يعاني من والده وماريا تشعر بالوحدة ومريم منعزلة عن الجميع تتجنب قسوتهم ما استطاعت لا يؤنسها سوى المسجد والمدرسة وأصيل.

وهناك في بلاد الثلوج البيضاء يعيش ديميتري كوابيس تؤرق عقله الصغير لازالت ذكريات المختبر تنغص عليه العيش .

يسعى آرون هذه المرة للمضي قدماً في لعبة الوصول إلى القوة والسلطة المطلقة والثراء الفاحش عن طريق اتباع أسلوب جديد للسيطرة واعتلاء هرم المافيا الروسية والعالمية سلاحه هذه المرة فتاك بمساعدة فريق من المبتكرين لتطوير روبوتات قاتلة وأسلحة فتاكة من طراز اقوى ذاتية التشغيل والتحكم ليسهل على كل رجاله استخدامها بعد أن يبرمجوها كي يفجرها في حال مصادرتها ،كما يخطط لبيعها للدول العظمى بمبالغ مالية ضخمة ليكون صاحب ميدالية سباق التسلح .

بينما خطة ألكسندر أكثر صعوبة من حيث الوقت وإمكانيات تجسيدها في الواقع كما تتطلب فرقا من باحثين وأطباء أعصاب ومختصين في علم النفس ومبرمجين وغيرهم لأنه يسعى لإعادة برمجة العقل والجسد البشري ليصبح بنفسه السلاح الفتاك الذي لا يوقفه شيء ،وهذا عن طريق تجسيد فكرة ابتكار رقاقات يتم زراعتها في جسد الإنسان تحفز الأعصاب ومناطق الدماغ إلكترونيا لعلاج ضعف السمع والشلل وتخثر الدم وفقره رقاقات العلاج يقوم ببيعها لكبار الشخصيات العالمية بمبالغ ضخمة أما الخطة الثانية فهي صناعة الإنسان الوحش عن طريق زراعة رقاقات تتحكم في قوة الإنسان نفسيا وجسديا ليصبح كائنا وحشا لا يقهر يقوم بوضعها في عقول رجاله والتحكم فيهم عن بعد خلال عمليات القتل والسطو وعمليات التجسس وإعادة البرمجة في كل مرة لكن هذه الخطة لا تزال قيد الاختبار منذ سنوات يقتل العديد من الرجال الأبرياء في سبيل تحقيق حلم ألكسندر ليفيتش بالقوة المطلقة .

هكذا هي الحياة صراع فحتى الشر ضد نفسه في صدام دائم في عالمنا الصغير المهدد دوماً بالكوارث والحروب التي يسببها الإنسان .

‘‘الفصل الثاني’’

‘‘سيخذلونك جميعهم أولهم ذلك الذي احترقت لأجله’’

أمام مرآة شبه مكسورة في المنزل البسيط نفسه يمشط أصيل خصل شعره السوداء التي تصل أكتافه يحدق بابتسامته المعهودة ككل صباح قبل الذهاب للثانوية ليس حبا في الدراسة لكن شوقاً لرؤية ماريا كالعادة والآن حين انتهى يخرج دون فطور بعد تلقي توبيخات من أمه.

‘‘تلك الفتاة الساحرة أفسدت عقل إبني متى يفهم هذا الطائش أنها لا تهتم به’’

وفي الشارع يلتقي صديقه ماهر في المكان المعتاد .

ماهر :أصيل ماهذه الأناقة تبدو كمشاهير التلفاز تماماً لن تلتفت الفتيات لنا في وجودك.

أصيل:انت تبالغ كثيراً،كما انني لا أهتم بالفتيات كما تعلم هناك واحدة فقط تحظى باهتمامي .

ماهر :مار.....

لم ينهي اسمها كاملاً لأنه تلقى لكمة قوية على وجهه .

أصيل:الفظ اسمها مجدداً وسأريك .

ثم ذهب بغضب تاركاً الآخر في حيرة يقول في نفسه "كأنها تهتم به الجميع يعلم أنها لا تعيره أي انتباه تلك المغرورة ياله من مسكين ستحزنه كثيراً"

يكمل سيره محاولا كتم غضبه حين اقترب من منزل ماريا ليلمحها تخرج من الباب برفقة مريم تهينها وتوبخها كالعادة وسط صراخ يسمعه الجميع فراح إليهما مسرعاً يحاول أن يهدئ الوضع.

أصيل:ماهذا في الصباح الباكر ؟لما الصراخ والاهانات ؟

ماريا :لا تتدخل أيها الغبي بسببك صارت تتمادى لأنها تعلم أنك ستدافع عنها هل أنت محاميها ،لولا أمي وعطفها لكانت في الشوارع الآن لا تتدخل .

أصيل: بصراخ: هناك الكثير من الحيطان لتضربي رأسكي بها بذل إفراغ غضبك السخيف على الفتاة وعلي.

ثم أمسك يد مريم وغادر بسرعة تحت صدمة ماريا "كيف يتجاهلني سأريه ،أناالتي جعلت هذا الأحمق يرى نفسه علي "

تستغرب مريم تصرفات أصيل الغير مفهومة هو الذي أخبرها دوماً أنه معجب بماريا كثيراً منذ الطفولة لكنه يتشاجر معها كل يوم لنفس السبب.

مريم:لما فعلت هذا سيزداد الوضع سوءاً ألم تقل أنك معجب بها.

أصيل: أن تكون معجبا بشخص أو تكن له المشاعر لا يعني بالضرورة التغاضي عن أفعاله السيئة هل سأسمح لها بإهانة صديقتي المفضلة؟هذا ليس من الرجولة.

مريم:هذا بسببي أنا آسفة لو لم أكن موجودة لكانت علاقتكما رائعة.

أصيل:اخرسي سيسمعكي أحد،هذا ليس ذنبك على كل حال لكن يجب أن تتعلمي الدفاع عن نفسك ،جربي مغادرة منزلهم ابحثي عن عمل وتحرري من هذه القيود منهم ومن عمتك الكريهة .

مريم: هذا ليس سهلاً هل ستتحرر أنت من والدك ؟

أصيل:ربما ليس اليوم لكن يوماً ما سأوفر لأمي مكاناً افضل للعيش .

مريم:بضحكة شريرة:قبل هذا اعترف لماريا أولا أيها الجبان .

ثم هربت لأنها تعلم جيداً عصبية الفتى الذي تبعها بعد أن نزع حذاءه راكضا به خلفها.

"روسيا"

على صوت المنبه ينهض الشاب ديميتري بكل هدوء بوجه متعب كالعادة بعد أن قضى ليلة أخرى يرى فيها الكوابيس كوابيس لم تفارقه لسنوات عديدة ،ليتذكر ما حصل أمس حين تلقى خبر قبوله في أكاديمية النخبة وكهدية له احظر له جده ألكسندر مسدسا ورجلا ليرديه قتيلا ،كانت أول روح يزهقها الفتى صحيح أنه اعتاد رؤية الدماء

والجثث لكنه ككل مرة يكره رائحة الموت التي تفوح من هذه العائلة المدمرة .

"رنين الهاتف"

ديميتري: الو جوزيف ماذا هناك؟

جوزيف: مرحباً ديميتري كيف حالك أنا في المختبر وكل الطاقم هنا وجدك أيضاً في انتظارك هناك دفعة جديدة من المعدات والرجال للتجربة عليهم لن نبدأ حتى تأتي الزعيم غاضب ان تاخرت سيقضي علي.

يغلق الخط في وجهه دون اكتراث "تبا لكم جميعاً"

بعد وقت قصير يصل للمكان الذي يتواجد فيه المختبر يركن سيارته ويتنهد قبل الخروج منها ،شريط الذكريات يتسلل إلى ذهنه عشرات الأبرياء ممن انتهت حياتهم هنا في سبيل تجارب يحقق بها جده غاياته ،رغم أن الأمر ليس من اهتماماته إلا أنه مجبر على خوض غمار هذا المخطط الذي لا يعلم نهايته فأن تكون حفيد الكسندر هذا يعتبر عدابا بحد ذاته.

في الداخل كالعادة روائح دماء وأصوات نحيب وآلام وجثث مركونة فوق بعضها لأشخاص لم ينجحو في تقبل الرقاقات فحكم عليهم بالموت تحت مرأى أعين ديميتري جامد الملامح .

ديميتري:جدي ماذا هناك أخبروني بسرعة لدي دروس في الأكاديمية اليوم أنا لا افهمك تجبرني على دراسة عشر تخصصات في نفس الوقت لكنك تقاطع دراستي في أول يوم.

ألكسندر:حفيدي الشرس كالعادة حاد الطباع قليل الصبر ،اليوم هناك تجربة جديدة يقوم بها الفريق واريدك أن تشهد عليها لدينا عينات جديدة بعد أشهر ستقودهم في مهمة السطو على أسلحة آرون الفتاكة ولذا يجب أن تشهد على المخطط من أوله.

ديميتري:منذ سنوات وأنت تخطط لنفس الشيء لكن دون نتيجة هؤلاء الأطباء والعلماء يفشلون كل مرة .

ألكسندر :ستكون هذه فرصتهم الأخيرة أنت تعلم أنه لو طلبت مني لقضيت عليهم الآن.

ديميتري:لا داعي "لكنه في نفسه يقول إنهم يستحقون ذلك من يملك العلم كان لابد أن يدافع به عن الضعفاء لا أن يقتلهم أن يعالجهم لا أن يجرب على أجسادهم الضعيفة"

انطق أيها الطبيب الكريه "قال ديميتري"أخبرنا ماهي خطتك الاحتياطية لنجاح التجربة الفاشلة "يضحك"

الطبيب: أظن أن أغلب العينات من الرجال لا يملكون صفات محددة سواء جينية جسدية أو ذهنية عقلية حتى مستويات الثلاث الانفعالي والصلابة النفسية منخفض.

الكسندر :إياك أن تخبرني أن استنتاجك بدون حل .

يرتجف الطبيب "بلى سيدي هناك حل او لنقل حلول"

ديميتري: خلصني قل بسرعة ما لديك لا أعلم كيف حصلت على الشهادة أنت لا تملك شخصية طبيب أو عالم تكلم بسرعة.

قال جملته كأنه لا يعلم أن وجوده ووجود جده يلغي كل العلوم والشهادات من رأس الفرد فتصبح بلا فائدة ،ليردف الطبيب بارتجاف.

"تحتاج إلى عينات أقوى أكثر صلابة وقوة تحمل عالية وتركيز ذهني ذو جودة ولذلك أعددت اختبارات بعدة مراحل تبدأ من اختبار الجسد وتنتهي بالنفس عبر تجميع عدة نقاط لكن شرط أن لا تعلم العينات أنها في اختبار كي نقيس مستويات التركيز والصلابة النفسية بكل دقة بعيداً عن الخطأ "

ديميتري:والعينات كيف تقودها للاختبار.

الطبيب:لا أعلم كيف ربما عن طريق خطفهم دون إظهار أنفسنا.

ديميتري:تبا،ارجو أن تنجح العينات في الاختبار وتتقبل الرقاقات ويحصل خلل ويعودو للقضاء عليك "ثم ضحك ضحكته الشريرة"

ألكسندر:حسنا يبدو أن الأمر معقد قليلاً لذا سنتريث قليلاً قبل أن نطبقه ،والآن إلى غرفة الاجتماع.

ديميتري: والأكاديمية ؟

ألكسندر:حسنا أنت وجوزيف ستذهبان وحين تكون هناك مهمة سأستدعيكما .

"الجزائر"

"ثانوية أصيل "

خلال خصة الرياضيات المادة الوحيدة التي يبرع بها أصيل ويستخدم ذكائه مقارنة بباقي المواد التي لا يحبها ،يطرح الاستاذ سؤالاً يعجز الجميع عن الإجابة سوى الفتى الوسيم ومن غيره ليصعد ويحل المعادلة بسهولة وسط ذهول البقية وغيرة الفتيان منه إنه يلفت الأنظار أينما حل .

الاستاذ: أنت عبقري يا أصيل لن تجد صعوبة في البكالوريا المقبلة أراهن أنك ستكون الأول ،انت تستحق أن تكون في المدرسة العليا للرياضيات إلى جانب براعتك في الذكاء كل .

أصيل: شكراً على مديحك أستاذي لكني أميل أكثر إلى البرمجة .

الاستاذ:إذا تفوقت سأوصي بك لأجل منحة في الولايات المتحدة.

أصيل: شكراً لك على هذا المديح .

الاستاذ:والآن يا أولاد على ذكر البكالوريا والمنح ما هي خططكم بعد الثانوية ؟أخبروني لنجعل حصة اليوم تحفيزا لكم .

ليبدأ الاولاد في سرد قصص أحلامهم المختلفة إلى أن جاء دور ماريا.

ماريا: أفكر في الذهاب إلى روسيا واكتشافها والدراسة هناك .

يراقب أصيل كلامها بحزن "تذهب إلى روسيا ؟ولن تعود هذا مؤكد إنها لا تحب بلادنا أبدا هذا محزن هل ستكون السنة الأخيرة التي أراها فيها؟"

الاستاذ:حسنا يا أولاد يجب أن تجتهدو كثيراً لتصلو إلى هذه الأهداف لكن قبلها عليكم أن تصقلو عقولكم وانفسكم جيداً لأن الحياة بعد بلوغ سن المراهقة ستكون صعبة تجدون فيها التحديات وتقاسون الآلام وتتحملون المسؤوليات عدوني أن لا تتغيرو وتبقو أبرياء في ذاخلكم أطفالا طيبين كما عرفتكم .

"جرس إنتهاء الدرس "

ليخرجو مندفعين كثيران الحلبة كأن ما قاله الاستاذ لم يؤثر بهم على عكس أصيل الناضج الذي خرج بعد تحية الاستاذ ،لكن مريم كانت لا تزال جالسة حزينة على طاولتها ليلاحظ المدرس ويقترب منها .

الاستاذ:ماذا هناك يا ابنتي شاردة كأن مسؤولية البلاد كلها على عاتقك "ويضحك ضحكة خفيفة "

مريم : بابتسامة لطيفة "لا يوجد شيء إنه فقط خوف من المستقبل لا أعلم ماذا افعل أنا محتارة ومترددة أشعر بالاختناق.

الاستاذ:هذا طبيعي جداً ستبلغون سن الرشد قريباً وتدخلون الجامعات والمعاهد وتصيرون أفرادا لهم مسؤوليات إنه خوف طبيعي ،لكني واثق انكي ستصبحين شيئا عظيما فتاتي الذكية لاحقي حلمك وفكي قيودك وأطلقي العنان لنفسك .

مريم :حاضر إلى اللقاء أستاذي سأتذكر ما قلته .

أمام الباب ينتظرها أصيل وماريا للذهاب ينظران إلى بعض منزعجين كأنهما عدوان على ميراث ما يحاول الفتى أن يهدئ التوتر .

أصيل:منذ مدة لم تتكلم كيف حالك .

ماريا:هذا ليس من شأنك .

أصيل:هل حقاً تودين الذهاب لروسيا وأمك هل ستذهب.

ماريا :تذهب أو لا أنا سأذهب أريد رؤية الثلوج وأوروبا الجميلة مللت في هذا المكان الموحش الذي لا أشعر بالانتماء إليه.

أصيل:لن تعودي ؟!

ماريا:هذا ليس من شأنك كأن الأمر يهمك .

أصيل:اخرسي كأنني سأموت إن ذهبتي سترتاح الجزائر .

ماريا :مغفل ،على كل أمي تملك المال وسأخبرها اليوم على الأقل لدي حظ ولست مثل صديقتك المقربة التي تخطط عمتها لتزويجها أحد الفلاحين ثم يبعدنها عن الدراسة "ضحكة شريرة"

أصيل:ماهذا الذي تقولينه ؟مريم لن تترك الدراسة لديها أحلام رسمتها لن أسمح بهذا.

ماريا :لا يهمني امركما .

تخرج مريم حزينة منهارة رأسها مشوش تجد ماريا أمامها .

"ايتها البطة القبيحة هل علي أن انتظرك لدي تسوق وعليك أن تأتي لتحملي معي"

أصيل:مريم ماذا هناك ؟كنتي تبكين .

مريم :لا .

ماريا :بكاء !وهل هذا جديد إنها تبكي يومياً لو كنت أعيش حياتها لفضلت الانتحار.

اهذا صحيح ؟هل تريدين إخباري بشيء ؟ ستخبريني بكل شيء في الطريق .

يسير الثلاثة معا ويحاول الفتى تخفيف الحزن على الحزينة الصامتة لكنها لا تتكلم لتردف ماريا"إنها لا تخبرك هذا لأنها لا تثق بك "

أصيل:صرعتي رأسي قر قر قر ألا يمكن أن تتوقفي ؟

ماريا:كأنك لا تعلم ما بها رغم انـي أخبرتك.

أصيل: أريد أن أسمع منـها ،مريم هل هذا صحيح تريد عمتك ايقافك عن الدراسة وتزويجك ؟

لا تلفظ الفتاة أي كلمة وتكتفي بالبكاء ليواسيها أصيل كالعادة وسط دموع تنـهمر بلا توقف وانفاس تختنق ومصير مجهول يلوح في الأفق .

أصيل:متى سيأتون لطلبك ؟

مريم :يوم الخميس المقبل.

أصيل:لا يمكن لدينا امتحان مهم يجب أن نفعل شيئا ،لا تفكري في شيء هذا الزواج لن يتم ما دمت حياً .

ماريا: ان لم تزوجها عمتـها لـهذا ستدبر واحداً آخر ماذا ستفعل حينـها ؟

أصيل:وهل ستـهتمين بأمرها على كل حال هذا سيعجبك .

ماريا: أجل لن اجد بقرة تساعدني كهذه الغبية.

أصيل:بقرة ؟ايتـها الحمارة الخرقاء .

وخلال جدالـهما المضحك تبتسم مريم بضحكة لطيفة أنستـها حزنـها قليلاً.

أصيل: هكذا أنتي اضحكي وأنا سافكر في خطة الزواج والأحلام والاختيارات المصيرية لا تحصل بالإجبار .

يصل الأولاد إلى حيهم أخيراً وحين يقتربون يسمعون أصواتاً وصرخات نساء تشتد وما هي إلا لحظات حتى يرى أصيل أمه أمام الباب مع حاجياتـها قربها والده يرمي عليها الأشياء ويكسر بعض الأواني عليها .

"أنتي طالق طالق طالق ،خدي ذلك المعتوه واخرجا من حياتي "

ما هذا ؟في الوقت الذي يحاول فيه الشاب الصغير إيجاد حل لمشكلات صديقته يعجز فيه عن حل مشكلاته ،يهرع إلى أمه ويحتضنها فتتبعه مريم وتقف ماريا بعجز وخوف ،هل الآباء كلهم هكذا؟قالت في نفسها وهي التي تتمنى رؤية والدها ولو لدقائق.

أصيل: أمي ماذا حدث؟

الأم:لقد طلقني بعد أن تبعته ووجدته يقابل امرأة في أحد المقاهي ضربني وأخبرني أن أغادر يا ويلتي إلى أين نذهب الآن .

أصيل:يحتضنها بقلة حيلة :لا تقلقي المهم أنك بخير .

تجتمع النسوة حولهما على أمل أن يجدوا حلا أين ستبيت المرأة وابنها ،تركض ماريا ومريم إلى المنزل لإخبار السيدة آنا هذه الأخيرة تتوجه إلى مكان أصيل وأمه .

آنا : أصيل يا ولدي المسكين قليل الحظ تعاليا إلى منزلي وهناك سنفكر لا تبقيا في الشارع .

ماريا : أمي معها حق الجو بارد جدا .

أم أصيل:لا نريد أن نكون حملا ثقيلاً عليك كما أنني لم اعاملكي بطيبة منذ اتيتي إلى هنا .

آنا :لا عليكي كلنا نخطيء تعاليا معي دون اعتراض نحن جيران وأصيل كإبني تماماً.

يخجل أصيل وأمه من الذهاب لكن آنا مصرة على هذا فيرضخان لطلبها يدخلون البيت الذي لم يدخله أصيل منذ سنوات طويلة يتذكر فيه طفولته الجميلة مع ماريا .

آنا :البيت بيتكما تصرفا فيه كما تريدان هذا الطابق تسكنه فاطمة ومريم إنه واسع وان احتجتما شيئاً أنا هنا .

أم أصيل: شكراً لك على لطفك .

أصيل:سأبحث عن عمل وأرد لكي جميلك .

آنا :لا عمل ولا شيء هناك امتحانات قريبة يجب أن تحظر لها.

مريم:سأذهب لأحضر الطعام استريحا .

لم تجد ام أصيل راحتها رغم فخامة المنزل فهي عاشت مع زوجها سنوات على وضع واحد واليوم بين عشية وضحاها تجد نفسها مرمية في مكان آخر ،بينما يفكر أصيل في حلول لمشكلاته الكثيرة ،لكن رغم هذه الأزمة فرح لأن ماريا هي من طلبت من أمها إحضارهم "هي لا تكرهني إذا لقد تصرفت بلطف"

تدخل فاطمة إلى المطبخ حيث تعمل مريم وتخاطبها بعنف "يوم الخميس سيأتون لطلبك جهزي نفسك رغم أن وجود أصيل وأمه يزعجني لكن لا داعي للذهاب إلى الدراسة"

مريم:لكن عمتي لدي امتحان.

فاطمة :أي امتحان هذا نهايتك في بيت زوجك انسي الدراسة ولا تعيقيني أكثر .

خلال تلك الليلة لم تنم مريم وخرجت لعلها تستنشق الهواء لتجد أصيل هناك أيضاً.

مريم :لم تنم بعد !

أصيل:كلا أي نوم هذا وسط كل هذه الظروف كنت أرسل رسالة لشخص يبحث عن عامل في مطعم يجب أن اعيل أمي واستأجر بيتا.

مريم: أجل ستفعلها أنا واثقة ستنجح في أي عمل .

أصيل: تفكرين في يوم الخميس؟

مريم: أجل ليس لدي خيار سوى تقبل الواقع .

أصيل:كفي عن الهراء أي واقع ؟رجل كبير في السن له أولاد عن أي واقع إنها تتخلص منك وتقودك للهلاك ستموتين قهرا أنا واثق لكني لن أسمح بهذا.

مريم :لا تفتعل مشكلة هذا سيزيد الوضع سوءاً.

أصيل:لا تهتمي ،انا سأدخل تعبت كثيراً وأنتي لا تبقي هنا طويلاً لقد اعتدتن على الخروج والدخول في أي وقت لكن هناك رجل في البيت الآن التسكع في الأسطح وقرب النوافذ ممنوع .

دخل بينما الفتاة تراقبه بإعجاب تتمنى لو كان الواقع مختلفا والظروف مواتية والاحساس متبادلا لكن ليس كل ما يتمناه المرأ يدركه فتحدثها نفسها أن لا تتمنى أشياء لن تحدث.

" هكذا سأعيش أغار عليك دون أن تعرف وأخاف عليك دون علمك وأحبك وأنت لا تدري "

في الداخل تفكر ماريا في ما رأته الأب الذي رمى إبنه ووالدته دون رحمة في مشهد خال من الأبوة والرجولة والرحمة ،هذه الفتاة رأت أمامها تمثال الأبوة التي تمنتها يتهدم أمامها تنظر لصور الأب الذي رحل عندما أتت إلى الحياة رحيل بدون وداع ،وخلال لحظات الوحدة

المؤلمة تدخل الأم فتجدها تبكي البكاء المعتاد حين تشعر بنقص في غياب أبيها .

كل بنت في العالم تكبر في الحياة وصورة الرجل المثالي تتجسد في أبيها ،إن أحبت رجلا سترى فيه أبا وإن تمنت أحدا ستتمناه شبيهاً بوالدها ،ولن تحس مرارة نقص الأمان سوى من فقدته أو من عانت تحت ظله وهذا ما كانت تشعر به ماريا خلال عمرها كله.

آنا:بهمسة حنون :هل تبكين وتشتافين له مثلي رغم أنكي لم تعرفيه ،إنه يراكي في مكان ما ويحبك ويراقبك بعين حريصة .

ماريا:أنا احتاجه بشدة أريد أن يكون بجاني يحميني ويرعاني لماذا رحل باكراً .

آنا :إنه القدر يا ابنتي .

ماريا :لقد مللت من كلماتك التي تدعين بها مواساتي ولم تخبريني كيف فقدته ولما اتيتي إلى هنا وجدك ولما ليس لنا عائلة أنتي تبعدينني عن كل شيء أنا يتيمة حقا مثل مريم الغبية .

آنا :هناك أشياء لا يجب أن نعرفها من الأفضل أن تبقى أسرار .

ماريا:ابقيها سرا هذا لا يهمني ساتركك وحدك يوماً ما وحينها استمري بكتمان أسرارك السخيفة .

آنا :ما هذا الذي تقولينه ؟

ماريا:كما سمعتي سأغادر واعيش في روسيا وأنتي ابقي هنا .

ثم ضربت الباب بقوة وخرجت ،بينما آنا بقيت مصدومة ترتجف وترتعب هل ما سمعته حقيقة ؟روسيا !حيث مات محمد روسيا التي فقدت فيها كل شيء ،روسيا الباردة حيث أخوها المرعب الذي يتوعدها

بالقتل والانتقام لتلطيخها اسم العائلة والخروج عن طوعها ،لتتبع آنا الفتاة الغاضبة "لا أرجوكي أي مكان ما عدا ذلك البلد "

تلحقها وهي تبكي وتتألم ففي روسيا ظلام ينتظر وعدو لا يقهر وموت يلوح في الأفق البعيد ،لتجدها متكورة بعد أن دخلت في حالة من البكاء الهستيري فتحضنها بحنان الأم "لا تتركيني يا ابنتي لا أريد فقدانك في تلك البلاد كما فقدت والدك "

ماريا: أنا أريد الذهاب بعيداً إلى هناك مللت هذه البلاد أريد أن أعيش حيث اجد ناسا يشبهونني انا أحب نصفي الروسي.

آنا :افهميني إنها بلاد خطيرة لا يمكن أن تذهبي ستموتين .

قالت جملتها الأخيرة دون تفكير مما أثار استغراب الصبية المتعجبة .

ماريا :لما قد اموت لما لا أموت هنا مالذي تقولينه دوماً كلام فارغ دون معنى تلفظينه على مسامعي .

آنا :روسيا خطيرة فيها مات والدك "ثم بدأت ترتجف وترتعب لم تتجاوز بعد ما حدث منذ سنوات طويلة"

دون شعور تقص آنا القصة الكاملة على ابنتها قصة الحب والحرب الحياة الجديدة والموت المحتوم وصراع المافيا الذي غرقت فيه الأرواح وفقدت فيه حبيبا لا يعوض تحت صدمة البنت التي فتحت فمها من هول ما تسمع ولم تلفظ كلمة واحدة .

قبل ذلك الحديث بدقائق لم يستطع أصيل النوم بسبب الأصوات التي أصدرتها ماريا فقلق عليها وحين ذهب للإطمئنان عليها وجد أمها وسمع كل ما روته لينصدم هو الآخر ويزيد خوفه "ماريا المسكينة هذه قصة لا تصدق خالها هو قاتل أبيها الذي حرمت منه طيلة هذه الفترة لهذا السبب تعاني وتتألم "

عاد أدراجه بينما بقيت البنت وأمها صامتتين يغطي الخوف الجو المحيط بهما لا بكاء يجدي ولا نحيب ينفع أحيانا الصمت يشرح كل شيء .

كل إنسان تمر في حياته ليالي خانقة مرهقة لكن هناك ليلة ما تبقى في الذاكرة تلك الليلة التي نولد فيها من جديد او نموت على قيد الحياة هي الليلة التي تمر الآن على الجميع،الواقع المرير الذي يدفع أصيل للجنون ووصوله إلى مفترق الطرق في حياته حوله كل الخيارات ولا يمكنه أن يختار ،السر الذي عرفته ماريا هذه الليلة ،وانتهاء الحياة بالنسبة لمريم واقتراب مصيرها المجهول ،هذه الليلة التي لم ينم فيها أحد في ذلك المنزل الواسع الذي ضاق بقلوبهم .

الخميس المشؤوم :

"مريم "

إنه خميس بؤسي وشقاء عمري الذي يضيع بين يدي بعد ليلة طويلة لم أقضها في التحضير للإمتحان بل في سماع أوامر عمتي التي تهددني بالقبول وتنفيذ ما تريد كي تنال مبلغاً يساعدها ويقهرني يفيدها ولا ينفعني .

"حالتي الغريبة ليست قدر إنها عابرة وغير مستقرة ،في هذا الشتاء سأكون حزينة حتى يحل الربيع "

أخبرتني عمتي أن الخطاب سيأتون مساء اليوم بعد العصر ،أراحني الأمر قليلاً رغم ارتباكي لم أستطع البكاء وأشعر بالخوف أصيل ليس هنا وعدني بإيجاد حل لكن ما عساه يفعل فحتى هو يمر بظروف لا تقل صعوبة وجد عملا اليوم الماضي وساعدته السيدة آنا على إيجاد بيت صغير قريب من هنا يعيش فيه مع أمه ،حاولت السيدة منع عمتي

بحجة أني لا زلت صغيرة لكن عمتي لم تأبى ولا زالت مصرة على قرارها ،يا إلهي ساعدني أكاد اختنق .

بينما أجلس بصعوبة كبيرة يمر الوقت بسرعة انها السابعة صباحاً هل سأعيش حتى المساء لا استطيع حتى التنفس اليوم امتحان رغم هذا لا استطيع الذهاب.

أصوات حجارة على الحائط الخارجي تدنو من مسمعي مالذي يحدث؟فتحت النافذة بحذر شديد إنه وسيمي في الأسفل ألقى الحجارة كي أخرج وما إن رآني حتى حادثني بصوت منخفض حذر كي لا يسمعه أحد.

مريم:مالذي تفعله تريد أن توقعني في ورطة مع عمتي ؟

أصيل:انزلي لدي ما اخبركي به .

مريم:لا استطيع عمتي منعتني من الخروج اليوم حتى موعد زيارة الخطاب.

أصيل:إذن سأصعد.

مريم :مالذي يفعله هذا المجنون سيورطني إنه لا يهاب شيء ،ياليت الايام كانت مختلفة وكانت أفعاله من باب الحب وليس الصداقة .

تسلق الحائط إلى أن وصل إلى النافذة .

أصيل: أيتها الغبية اقتربت ساعة الامتحان لما لم تجهزي نفسك .

مريم: أي امتحان هذا وأنت تعلم أن اليوم هو يوم جحيمي .

أصيل:استمعي إلي لدي خطة ستهربين .

مريم :هل جننت ماذا سيقول الناس عني .

أصيل:دعنا من الناس حياتك ومستقبلك سيضيع إن بقيتي استمعي إلي لا تخافي أنا معك ،ستخبرين عمتك أن تحقق لك آخر رغبة وأن تذهبي للإمتحان وحين نعود ستأتين وتتجهزين بشكل طبيعي وحين يصل الضيوف وموعد دخولك عليهم سآتي من النافذة وتهرب إلى منزلنا الجديد أنا وأمي ،أمي وافقت والخيار لكي الآن.

مريم:هذا لا يمكن .

أصيل:جبانة كالعادة إن لم توافقي سأخطفك لن ادعكي تفعلين أشياء تندمين عليها سنعيش أنا وانتي وأمي وندرس ونحقق أحلامنا فلماذا تضيعين فرصة لأجل زواج كهذا إلا إذا كنتي معجبة بذلك الشيخ .

مريم:مالذي تقوله تسخر مني .

أصيل: أنا أنتظر في الأسفل عشر دقائق ونذهب للإمتحان هيا بسرعة .

نزل يقفز برشاقة بينما تنظر إليه باستغراب "ياله من ولد غريب يفعل هذا من أجل صديقته فماذا يفعل من أجل التي يحبها؟"

فعلت الفتاة كما أخبرها أصيل تماماً وذهبت معه إلى الامتحان وفي طريق العودة كان يملي عليها الشاب ما تفعله ومثلما أخبرها حصل .

يدخل الخطاب المنزل إنه رجل كبير فاق منتصف العمر مع والدته العجوز وأخته تستقبلهم العمة وترحب بهم بحرارة ،أما مريم يزداد توترها بينما تنتظر إشارة من أصيل لتنفيذ الخطة .

العريس:أين الفتاة نريد أن نراها .

والدته :أرجو أن لا تكون قبيحة فإبني شاب مميز وكل فتيات القرية يحلمن به زوجا .

العمة :كلا إبنة أخي جميلة جدا إنها خجلة مريم ،مريم تعالي إلى هنا .

تدخل تلك الفتاة بخطوات متثاقلة مجبرة وما إن وصلت إليهم حتى انبهر ذلك المتقدم فتاة سمراء جميلة يزين الحياء خطواتها فيزيدها حسنا رغم لمعة الحزن في عينيها .

العريس:ماشاء الله ماشاء الله كيف لهذا الوجه الجميل أن يظل بلا زواج حتى الآن.

أمه:لكنها نحيفة لن تنفع في الأعمال .

تزيد الغصة في قلبها وتدعو. "أصيل أرجو أن تنقذني من هذا المأزق "

العمة فاطمة :حسنا مريم إذهبي وأحضري القهوة .

تهرول الفتاة إلى غرفتها بدل المطبخ وتفتح النافذة وقبل أن يعطيها أصيل الإشارة وجدها قد أخرجت رأسها فعلم من نظرتها أن الخوف يسكنها فصعد سريعاً يراقب المكان وما إن وصل .

أصيل:هل غيرتي رأيكي أم أن الخاطب أعجبك.

مريم:بغضب :هل تسخر مني ؟ابعدني من هنا أرجوك أنت أملي الوحيد .

أصيل:لكي ذلك هاتي يدك لا تنظري للاسفل وتماسكي جيداً سنقفز عند الإشارة حاولي أن لا تصدري صوتاً .

فعلت كما طلب ماهي إلا لحظات حتى قفزا من البيت إلى الشارع وركضا بسرعة نحو منزل أصيل حيث تنتظره أمه هناك لكن ماريا كانت قد رأت كل شيء لتنزل إلى الأسفل تسترق السمع .

ماريا :في خطبتها تختفي هذا سيثير جنون فاطمة يا لها من بنت "

لتسمعهم يتحدثون عن تفاصيل الخطبة والزفاف وغيرها والخاطب متشوق يالله من رجل حتى منظره لا يريحك ،وحين أحسو بتأخر الفتاة ذهبت عمتها لتفقدها في المطبخ فلم تجدها بحثت في كل الغرف ولم تجدها خرجت لعلها تجدها عن

ماريا فوجدت ماريا أمام الباب وحين سألتها أجابت بالنفي ليثير هذا قلق العمة إنها في ورطة أين اختفت الفتاة ماذا سيقول الناس الذين أحسو بشيء غريب يحدث ،لم تستطع إخفاء قلقها بينما اخدو يسبون ويشتمون ويلعنون فاطمة "انتي مخادعة تسخرين منا وغادرو المنزل بغضب متوعدين بالانتقام"

أما فاطمة فوقعت في مشكلة واقيمت أنها لو رأتها لمزقت وجهها بيدها .

بينما يصل الولدان تخبيء أم أصيل مريم في إحدى الغرف يتلقى أصيل اتصالا من مريم تخبره برحيل الخطاب وأن فاطمة تكسر كل شيء وغاضة .

أصيل: شكراً ماريا لا تقلقي حتى لو عرفت مكانها لن تفعل شيئاً سأشكوها لأنها تسيء إلى قاصر .

كانت ماريا مستغربة لفعل أصيل هذا الفتى الطيب الذي يساعد الجميع دون مقابل ففكرت " هل يستطيع مساعدتي في مخططي للذهاب إلى روسيا ؟هل سيساعدني في انتقامي ؟لا لن يفعل هذا لا شك أنه يكرهني بسبب معاملتي له لكن ماذا افعل يجب أن أذهب من هنا نار تحرق قلبي كيف لأمي أن لا تفعل شيئاً يريح أبي في قبره لم اعد استطيع العيش بعد أن عرفت كيف مات ابي ،لكني احتاج سنداً يساعدني ،هل أخبر

أصيل؟يجب أن احسن علاقتي به أولا لم أنسى أنه كان يحبني عندما كنا أطفالا يجب أن اتصرف قبل أن تسرقه مني مريم"

تمضي الايام وتتغير الأحوال تتودد ماريا لأصيل وتتقرب منه وهو بكل براءة يظن أنها تغيرت وصارت أطيب وشيئا فشيئا تصير هي الشيء الوحيد الذي يملأ يومه ويسبب له السعادة غير آبه لشيء آخر ،اما مريم التي تعتاد على الواقع في كل مرة ترى ما يحصل بقلب حزين ومشاعر متألمة فلا تجد سوى أن تتقبل الواقع متمنية له أن يعيش سعيداً فهو يستحق تراه ذلك البطل الذي جعل الطريق أمامها سهلاً وخلصنا من قيود كانت لا تقوى على التحرر منها ورسم لها خرائط لأحلام كانت تراها صعبة .

ظهرت نتيجة البكالوريا ونجح الثلاثة كان أصيل أكثر الطلاب تفوقا وهو قادر على دراسة أي شيء في الخارج أكبر جامعة في الولايات المتحدة تمنحه كرسيا فيها لكن حصل ما لم يكن في الحسبان.

رسالة من ماريا :تعال الى المطعم المعتاد لدي ما أخبرك به .

يطير فرحا وسعادة ويفكر أنها على وشك أن تعترف له بشعورها أخيراً فيركض إلى مريم الجالسة مع والدته .

أصيل:تعالي قليلاً .

مريم:ماذا هناك ؟

أصيل: أظن أن ماريا ستعترف لي بشيء لقد اعطتني موعداً كيف أبدو هل اغير التسريحة إنه يوم مميز قبل الذهاب الى الخارج .

مريم :لا تبدو مذهلا لكن ما كل هذا التوتر .

أصيل:سيذهب كل إلى طريق أظنها ستغادر روسيا وقبلها تريد أن تعترف أنا واثق.

مريم:لا أظن ذلك إنها دوماً صريحة لو كانت ستعترف لقالتها على أي حال اتمنى لك السعادة .

يتحمس بشدة ويقفز هنا وهناك ثم يرتدي الحداء ويخرج وسط استغراب أمه "ما به الفتى ؟" يصل إلى المكان الذي يحمل قلبه بين جدرانه غيرتها جالسة هناك فيخجل قليلاً ثم يتردد في الدخول.

أصيل:في نفسه لا تكن أحمق إنه اليوم الذي انتظرته طويلا سأعترف أنا أولا مهلا لقد اعترفت من قبل يالي من أحمق ،يا الهي كل سكان الكوكب يعلمون بقي أن تعترف هي سأدخل انا رجل ولست جبانا .

يتقدم بخطوات واثقة ويحييها ويجلس بهدوء ويطلب القائمة كرجل نبيل تحت نظرات الحسناء الباردة التي تراقب بصمت على وشك تفجير قنبلة تغير حياة هذا الولد .

وبعد لحظات زال الصمت حين قالت .

ماريا: أصيل أريد اخبارك بشيء .

أصيل:يحمر خجلا وتزداد نبضات قلبه :قققولي ماذا هناك ؟

ماريا: أنت تفعل الكثير من الأشياء لأجلي وتعاني بي وهذا شيء لا يفعله سوى شخص يحبك رغم أنك أخبرتني أريد أن أعرف مجدداً.

أصيل: يضيق تنفسه فهو من الأشخاص الذين يعبرون عن الحب بالافعال والمواقف وتغيب الكلمات حين يودون التعبير فيصمت .

ماريا :ماذا؟

أصيل:بخجل:يشهد الله على ذلك قد لا استطيع التعبير لكن الله يعلم ما في صدري أنا أحبك حباً شديداً طاهراً خالي من المصالح .

وحين أراد أن يقول وأنتي ؟نطقت البنت بما سيغير مصيره.

ماريا:من الأخير أريد أن أعرف إلى أي مدى ؟هل ستضحي من أجلي هل ستنتقم لي هل ستذهب معي إلى روسيا لأعيد حق ابي؟

أصيل:يصمت قليلا متذكرا تلك الليلة التي سمع فيها قصة ماريا وآنا ومحمد المغدور .

كيف تسأله هذا السؤال وهي تعلم مقدار التضحيات التي ضحاها لأجل الآخرين لأجل مريم والأصدقاء وكيف يكون أول من ينصر الضعفاء .

أصيل:ظننت أنك تعرفين فأنا أضحي لأجل اي بريء ومحتاج بغض النظر عمن يكون فكيف إذا كان هذا الشخص انتي؟

ماريا:هل أنت واثق هل ستذهب معي إلى روسيا؟

أصيل:وضع في موقف الحيرة بين ما يريد وما يريد قلبه لكنه لا يريد أن يخذلها فقال نعم دون تفكير ودون تردد .

ماريا :يجب أن نكون في روسيا قبل الشتاء أنا سأذهب لأحضر كل شيء وادرس الموضوع وأنت أخبر أمك وجهز أوراقك ونلتقي قريباً ابقي الأمر سرا اتفقنا .

وغادرت دون اكتراث لمشاعره وأنه قدم لها اعترافا منذ قليل لم يجد له رداً ورغم ذلك سعيد لم يفكر بشيء لا مخاطر ولا ومستقبل فقط أن تراه بطلا ورجلها المفضل هو ماكان يشغل تفكيره.

وحين وصل المنزل فجر لأمه الخبر "سأدرس في روسيا"

الأم:نعم يا ولدي ولكن كان حلمك أن تذهب لأمريكا وتدرس في جامعة أحلامك مالذي تغير ؟

أصيل:هناك جامعة جيدة أريد التقدم لها.

الأم:ستفارقني يا عزيزي من لي غيرك في الحياة .

أصيل:سنتواصل وسأعمل واغير حياتك ومريم معكي هنا لن تشعري بالوحدة .

"روسيا"

إتصال:

ديميتري:الو جدي ماذا هناك ؟

الكسندر:أين أنت هل ستنفذ الخطة التي اتفقنا عليها خلال التجربة ؟

ديميتري:نعم لدي عمل وحين انهيه سنقوم بخطف أول الدفعات من الطلبة والمهاجرين لإجراء التجربة .

الكسندر:بسرعة وإلا ستذهب جهودنا سدا آرون على وشك أن يطلق آخر ابتكارات الأسلحة حتى وزير السلاح في صفه الآن .

ديميتري:ثق بي :وأغلق الخط .

" ديميتري"

كان اتصالا سخيفا من جدي كالعادة علي فقط تنفيذ الأوامر أنا آلة فقط في نظره قد ينهيني كما ينهي البقية إن رفضت أجد نفسي مقيدا في مختبر أتلقى تعديبا ثم تغرس رقاقة في جسدي دون أي احترام لحقوق الإنسان ،لكن هذا لا يهم أعطاني بعض الوقت قبل العملية سأستغله في أمر ما ،اقف أمام مبنى محترم أرتدي شعرا مستعارا واحاول إخفاء هويتي مكتوب أمام المبنى " هنا نخيط جراحا أنتم لا ترونها "

إنها عيادة نفسية أردت استكشافها أو بالأحرى استكشاف ذاتي هنا رغم اني لا أحب الأطباء والمختصين فجميع من رأيتهم دجالون .

دخلت هناك استقبلوني بابتسامة والآن علي انتظار الاخصائية حتى تفرغ من عميلها الآخر ويحين دوري .

تنادي علي "أنت التالي " وتطلب إسمي لم أشأ إخبار الموظفة وادعيت عدم السمع معرفة كتبتي ليفيتش كافية أن تجعلها تنهار أو تفقد وعيها .

في مكتب الاخصائية كانت امرأة شابة تبتسم قليلا لكن جدية أكثر لم أعتد هذا فجميع من حولي من أفراد المافيا يتملقونني فقط للوصول إلى شيء ما لم أعثر عمن يبتسم دون مصلحة .

المختصة:تفضل سيدي يمكنك الجلوس والاسترخاء .

كان المكان هادئاً وجميلا قدمت لي عصيرا .

المختصة :يبدو عليك التوتر والقلق لما تضع هذا الشعر المستعار على رأسك ؟هلا أخبرتني عن اسمك ؟

ارتبكت من الأسئلة يبدو أنها تجيد عملها رغم اني حاولت اتقان التنكر .

ديميتري:في الحقيقة لا أريد أن يعلم هويتي أحد.

المختصة:ماهي الهوية في نظرك ؟هل تظن أنني اهتم بكنيتك واصلك أنا هنا لأغوص في أعماقك واساعدك على استخراج حقائق لا تعلمها عن نفسك وانتزع الألم من جوف يقلقك .

ديميتري:لست مريضاً أو هكذا أعتقد من الجيد انكي لا تهتمين بمن أكون فحتى أنا لا أعرف ولا أعلم لما أتيت .

المختصة:ربما تبحث عن الطمأنينة ؟

ديميتري:تقولون في علم النفس تجاوز ،قاوم واجه هذا هراء لا احد ينسى أو يواجه حقيقة كيف سرقت الطمأنينة من صدره .

المختصة:فهمت ما تريد تقتلك الشكوك حول ذاتك وحقيقتك وما تريد ومن تكون يبذو أنك تبحث عن طريق أو أنك أنت في درب لا تريده،تكلم دعنا نرى إلى أين ستوصلنا أحب العملاء من هذا النوع .

ديميتري:عملاء ؟تحبين ؟المختصون والأطباء الذين عرفتهم لم يعاملو الانسان إلا وهو مجرد آلة في نظرهم أنا لا اثق بكم إلى اللقاء كان من الخطأ أن آتي .

المختصة: أيها السيد المحترم ستعود أنا واثقة يخبرني كلامك أنها المرة الأولى التي تخرج ما بداخلك أنت تظن أن الأمان فخ لكنك ستعود لأنك بدأت خياطة جرحك أنا أعتقد أنك شخص فريد من نوعه .

ثم غادرت بسرعة لا أنظر خلفي ما هذا الذي فعلته لما ذهبت مالذي قلته انا خائف خائف كأول مرة رأيت فيها الجثث وأجبرت على سلوك طريق محتم علي سأذهب للمهمة علي أحسن مزاجي وانسى قليلاً.

‘‘الفصل الثالث’’

‘‘تشهد روحي أنك روحي ويشهد قلبي أنك فيه ‘‘

‘‘مريم ‘‘

صحيح أنه المسافر لكني من شعر بالغربة في وطنه لم تعد الحياة جميلة كما كانت الليل طويل والشتاء بارد والوجوه مكشرة حتى أمه عابسة أحاول مواساتها لكن من يواسيني ؟كان آخر ما قلته له حين تشعر بالوحدة تذكر أن الله موجود وأن دعواتي سترافقك لكل مكان .

‘‘أصيل’’

أشعر أنني أقوم بالشيء الصحيح لأجل من أحب وبالشيء الخاطئ تجاه نفسي تغمرني الحيرة والصراع الداخلي ودعت أمي ومريم التي لم تنطق بحرف فقط اعطتني قلادة عليها آيات من سورة النور وكتاب

قرآن صغير دقيق الحجم ،لا أعرف مالذي أصابني حين رأيتها بهذه الحال واليوم بعد وصولي أشعر أنني تركت نصف قلبي في الجزائر.

"ماريا "

وأخيراً إنها روسيا ما إن حطت قدماي عليها حتى شعرت بتدفق الادرينالين ،تركت أمي باكية لم تستطع منعي رغم التحذيرات والمخاطر التي قالت أني سأواجهها لم أخبرها بخططي الانتقامية لكن سأفعل ،اشعر هنا أني حرة وسافعل ما أريد .

"موسكو "

أخيراً نحن في روسيا وقصورها وبردها الجو خيالي فعلا كأننا في قصة خيالية .

حين وصلا إلى مطار موسكو تقدم منهما رجل يبدو عليه الاحترام وقال بعد أن رأى الورقة التي يحملانها مكتوب عليها اسم الجامعة "أنتما الدفعةالجديدة من الطلاب أهلا بكما في روسيا تبدين روسية يا آنسة وأنت أيها الشاب هل أنت عربي "

أصيل:أنا جزائري.

"مرحباً بكما وارجو أن تعجبكما الدراسة هنا والآن اتبعاني لاوصلكما الفندق التابع للجامعة "

ماريا :هذا لطف منك شكراً لك.

أصيل:بحذر:لكن لم تذكر الجامعة لنا هذا كل ما هناك أن مرافقها تفتح يوم غد .

"لا تقلق سيدي الصغير كل شيء على حسابنا "

ماريا :لماذا تشك في كل شيء ؟تحدثت بلهجة جزائرية كي لا يفهم الرجل .

أصيل: أنا مطلع على سياسة الجامعة لم يذكرو أن شخصا يستقبلنا وحتى أمر فندق خاص غير موجود علينا الحذر.

ماريا :لا تفسد متعتنا بشكوكك التي لا داعي لها .

وابتسمت للرجل وتبعته لم يكن من أصيل سوى أن يسير خلفهما رغم أنه ليس مرتاحاً.

أصيل:كان يجب أن نذهب إلى فندق قريب من وسط العاصمة ليكون قريباً من المرافق كي اشتري شريحة هاتفية والآن علي أن اطاوعها واتبع غريباً لا اعرف من هو .

اتصال هاتفي:

ألو سيد ديميتري الدفعة الجديدة من الطلبة والمهاجرين قد وصلت لم يبق سوى أن تجمعهم في ذلك الفندق قبل بداية الخطة .

ديميتري:لا يهمني حدثني بعد الوصول لا تهمني هذه التفاصيل.

قادهم الرجل إلى حافلة فخمة سوداء دخلا وكان هناك الكثير من الشباب أكثرهم من جنوب أوروبا وشمال أفريقيا وآسيا لم تكترث ماريا لكن إحساس ما راود أصيل وأحس أن هناك أمرا لكن لم يخبرها كي لا تخاف ،وفي تلك اللحظات نزعت ماريا المعطف الواسع الذي كانت ترتديه ولبست الآخر الضيق ثم حملت مرآتها ووضعت أحمر شفاه فاقع اللون تحت نظرات المنصدم هناك .

أصيل:ما هذه الملابس يا غبية وما هذا على وجهك جننتي؟

ماريا :مابك؟ألست جميلة ؟

أصيل:إن لم تعودي لرشدك وترتدي معطفك الواسع وتمسحي هذا الهراء لن يحصل خير انا أحذرك ،أتبع بهمس: الجميع يحدقون بك إن لم تكفي عن هذا سأقتل أحدهم واكملك معه .

ماريا:يا لك من متخلف إننا في روسيا ولسنا في بلادك هنا افعل ما تشاء .

أصيل:الله هنا أيضاً حين أصل سأريكي التخلف على أصوله .

وجلس غاضباً كل من ينظر إليها يرمقه بنظرات تهديد حتى خاف منه الجميع .

إن الغيرة على الحب والعرض هي أشياء يلد بها الجزائري ويرضعها في الحليب ولا يفطم منها ولا يهتم بالتقدم الذي يدعونه فإن غابت عنه كرهه الرجال وبغضته النساء سواء في البلاد أو الغربة .

وصل الجميع أمام مبنى كبير جداً رافقهم الرجل إلى الداخل وأعطاهم موظف الاستقبال مفاتيح وارقام غرفهم المنفردة كانت صغيرة جداً وليس بها سوى سرير وطاولة تحت استغراب الجميع كيف لمكان فخم أن تكون به غرف كهذه لكن لم يهتمو فالتعب قد نال منهم .

أصيل:استريحي جيداً انا في هذه الغرفة ان احتجتي شيئا أخبريني اعتني بنفسك.

ماريا:لا تقلق إن احتجت شيئا سأطلب من الهاتف نحن في فندق .

أصيل:لا تثيري جنوني حتى تخرجي شبه عارية لعمال الفندق واقتلك وهم معك هل أثر عليكي الهواء البارد أرجو أن تعودي لصوابك قبل المساء احاول ان اكون لطيفاً لكن أن استمر الوضع سأستعمل القوة.

ماريا: حسنا إذهب .

"سأفعل ما يريد حتى اصل لهدفي ثم أرحل واتخلص منه "

مرت ساعات قليلة والجميع نيام في غرفهم حتى اقترب من الطابق الذي كانو فيه شاب طويل ضخم البنية يضع قناعا واقيا كالذي يستخدم خلال إنتشار الفيروسات وضغط على زر ما ،مالذي يحدث هنا ؟

"ديميتري"

ذهبت مرغما لتنفيذ خطةجدي في البحث عن الأقوياء الذين يصلحون للتجربة وزراعة الرقاقات باع جدي الكثير منها للمسؤولين وغيرهم وجنى ثروة كبيرة والآن يبحث عن قوة لا تقهر جيش بشري يخضع له لا يمرض ولا يهزم لأنه يخطط لهزيمة آرون الذي بدأ حربه ضدنا مبكراً ،اجرينا اختبارات لمعرفة القوة والصلابة الذهنية لدى الرهائن لكن قليل فقط من نجحو واكثرهم لم يتحملو ،اليوم هناك رهائن جدد لم يعلموا بعد مالذي يدور استهدفنا الشبان والطلبة ،دخلت الفندق وضغطت زر المكيف الذي راح ينثر غازا منوما ليذهب الجميع في نوم عميق"

أصيل:ما هذا رأسي يؤلمني أشعر برغبة في النوم هذا ليس وقته لدي عمل في المساء سنذهب للجامعة لإكمال الإجراءات ما هذا ؟هل تغير الجو اثر على عقلي ؟

ظلام هدوء وألم يشمل كل أجزاء جسدي أين أنا ومالذي جرى لا أذكر شيء سوى أنني نمت بعمق ،فتحت عيني بصعوبة لم أستطع الرؤية إلا بعد دقائق ،كانت غرفة مظلمة ظننت لوهلة أني في كابوس مزعج لكن

مع مرور الثواني زاد ألمي حاولت التحرك والبحث حولي لأرى ماريا ممدة مفيدة من قدميها بسلاسل ضخمة حاولت إيقاضها لأجد نفس القيود علي شعرت بالهلع لم أخف عن نفسي لكن ما هذا الذي نحن فيه أي ورطة ،مهلا هل كان ذلك الرجل الذي استقبلنا في المطار ؟لم ارتح له من البداية حاولت التحرك والتقدم لماريا لم أشعر بتنفسها هل هي بخير "ماريا ماريا استيقظي "لم تستيقظ زاد هلعي هل ماتت ؟يا إلهي أين نحن ؟انظر في المكان لا يرى أي شيء سوى الشباب الذين كانو معنا بعضهم بدأ يستيقظ صرخت في المكان هل من أحد وكررت الصراخ بدأت ماريا تتحرك الحمد لله لكن كيف سنخرج وأي ورطة وقعنا .

ديميتري :

بدأ الجميع ينام بعد إطلاق الغاز المنوم هذا الغاز هام جداً لمعرفة قوة وتحمل كل منهم إنه يؤثر على كل واحد بدرجة تختلف عن الآخر ومعرفة صلابة كل منهم يعتمد على سرعة الاستيقاظ ،بينما الرجال يحملونهم إلى مكان إجراء الإختبار ذهبت لفحص ملفات كل منهم وهنا كانت الصدمة من بينهم فتاة تنتمي لعائلة"تسيفو "لم أعرف من هي لكن كيف وصلت إلى هنا تعليماتها بإحضار مهاجرين وغيرهم وهي روسية من جانب الأم هل وقعنا في فخ أم أن آرون أرسل جاسوسة لا وقت للتراجع أردت المخاطرة ومعرفة ما سيحصل لكن قبل أن أذهب كلفت جوزيف بإجراء الاختبار القاسي الذي سيموت من لا يتجاوزه وأنا ذهبت لجدي كي أطلعه بنفسي فأمر الفتاة يحيرني على الأقل ابتعد قليلاً عن الاختبار الذي يرهق أعصابي ليس ضعفا لكن مللت إزهاق الأرواح .

أصيل:استيقظتي أخيراً؟الحمد لله .

ماريا: أين نحن ؟

أصيل:لا أعلم شيء نحن محتجزون هذا هو الظاهر عرفت أن ذلك الرجل مريب ولم تسمعي كلامي.

ماريا :لا تمزح معي .

أصيل: أي مزاح هذا وانا مقيد وأشعر بالألم .

بدأت بالبكاء أما أنا شعرت بالضعف حاولت أن أتحرر ولم أعرف كيف ،فجأة سطع نور قوي وكان هناك تسجيل صوتي على شاشة معلقة على وشك أن يبدأ لحظات حتى لفظ إسمي واسم ماريا والبقية الذين استيقظوا أما من لم يفعلوا لم يذكرهم وهذا دليل على أن الخاطف يراقبنا .

"مرحباً بكم في لعبة البقاء للاقوى والامهر والاقدر "

هذا ما قاله الرجل في التسجيل بصوت عالي.

زاد الصراخ والتوتر ما هذا الهراء مالذي فعلناه حتى تخطفونا .

"تريثو لا تتوترو تحتاجون إلى ضبط النفس والهدوء لعبور مستويات اللعبة الخمس الآن عليكم التحرر ويسلك كل منكم طريقا يشبه الآخر أمامكم منشار كهربائي يديب الفولاذ استخدموه بحذر لتحرير القيود حتى تعبرو المستوى الآخر"

أي مصيبة هذه التي وقعنا فيها مالذي سنفعله؟

كان كل منا يبحث حوله حتى وجدته خلفي امسكته بقوة كان ساخنا جداً احترقت يداي أثناء حمله وكذلك ماريا أمسكت ما وجدته لكنها رمته أحرق يديها ،المسكينة إذا كنت أنا رجلا ولم أستطع حمله فكيف هي

،استعملته بحذر كان القيد يزيد حول قدمي خاصة مع الحرارة الألم لا يطاق لكن علي هذا خاصة أن ماريا تعتمد علي وما إن أنهيت حتى صدمت بالجرح الذي تركه القيد علي ،تنفست قليلاً وامسكته من جديد لتحرير ماريا "تحملي الأمر مؤلم لكن لا خيار آخر أنا آسف" وبعد برهة كان الجميع ممن تحررو قد ذهبوا ولأني اتعامل مع فتاة كنت اتريث قليلاً حتى انتهيت وبدل أن تشكرني وبختني كأنني أنا السبب يا لها من فتاة .

نهضنا متوجهين إلى الباب الذي فتح بينما البقية كل ذهب في اتجاه وكنا وحدنا حتى سمعنا صوت التسجيل يخاطبنا .

"أهلا أصيل ،اهلا ماريا "خفنا قليلاً وتشبثنا ببعض .

"عندما تسمعان هذا التسجيل ستكونان قد وصلتما إلى المستوى الثاني إنه صعب قليلاً ويؤثر على تركيزكما يجب أن تتمتعا بقوة ذهنية عقلية عالية حتى تستطيعا الخروج أنتما في غرفة متحركة تنكمش على نفسها تتحرك جدرانها باستمرار امامكما نصف ساعة للبحث عن مفتاح الخروج عندما ينتهي الوقت تغلق الجدران على نفسها وتعتصر جسديكما كما تعتصر المربى "

ماريا :يا إلهي لم أكن أعلم أن نهايتي ستكون معصورة .

أصيل :لا تخافي اعملي بسرعة وسننجو ابحثي هنا وأنا سأبحث هناك .

مضى وقت ولم نجد المفتاح إلى أن صرخت ماريا "وجدته وجدته "كان داخل علبة كريستالية محكمة الإغلاق كيف سنفتحه ؟بدأت الغرفة بالإنغلاق .

أصيل:سأحطم العلبة .

رميتها على أحد الزوايا وانكسرت ليخرج المفتاح ،الوقت يمضي وعقلي مشوش ،يجب أن أركز فتحت الباب الذي كاد يبتلعنا مع الغرفة التي انغلقت على نفسها وأمسكت يدها وركضنا مبتعدين وها نحن في غرفة أخرى بحثنا هنا وهناك إلى أن وجدت تسجيلا آخر .

"أهلا أصيل ،اهلا ماريا أرى أنكما تفوقتما على أغلب الضحايا أنتما الآن في المستوى الثالث،اعبرا الممر نحو ممر خشبي تحته حفرة عميقة وهو مليء بالثقوب والحفر حظا تعيسا "

كان كلامه يستفزني كثيراً أي ورطة نحن فيها وأي فخ تدكرت كلام السيدة آنا عن روسيا وعن العصابات وعن أخيها تدكرت رغبة ماريا في الانتقام وهاي روسيا منذ اليوم الأول تستقبلنا استقبالا خطيراً إنها فعلا بلاد جامحة هل هذا فخ من المافيا أم أن أحدهم اكتشف أن ماريا من عائلة تسيفو خفت قليلاً لكن يجب أن أخرجها من هنا قبل أن نكون في أيديهم .

أصيل:يجب أن ننجو امسكي بي كوني حذرة إن وجدتي قدمكي في فراغ اقفزي وإلا وقعتي في الحفرة انتبهي على خطواتك .

ماريا :لا تتركني أنا خائفة .

أصيل:هذا مستحيل لن أفعل أنا لم اتبعكي لآخر الدنيا كي أفقدك فيها ،اعدك سننجو .

بدأنا انا وهي تتحسس الأرضية الخشبية بعناية ونمشي ببطء وقد اقتربنا من الباب انا سعيد وصلنا ،هي كانت قريبة مني ولكن في آخر لحظة داست على القطعة الخطأ كادت تسقط ولكن امسكتها بسرعة وللأسف جرحت قدمها بسبب قطعة خشب مسننة المسكينة .

اجتزنا ذلك الممر وجلسنا نتنفس قليلاً في مكان يشبه المستودع كبير ومظلم كان بارداً جعلنا نرتجف كصغار بط يدخلون البركة لأول مرة كانت هي تشعر بالبرد أكثر لأن ملابسها خفيفة .

أصيل: هل رايتي عندما ترتدين ملابس ضيقة وخفيفة ماذا يحصل الله بدأ بعقابه .

ماريا: هذا لا يهم .

أصيل: سأعطيكي معطفي انتظري .

ماريا :لا داعي أكره هذه الحركات إنها قديمة .

أصيل: تبا لمن يرغب في مساعدتك .

من شدة التعب نمنا دون أن ندرك ،وبعد مدة استيقظنا على صوت التسجيل المعتاد .

"اهلا أصيل اهلا ماريا أهنئكما لوصولكما المستوى الرابع الآن الاختبار النفسي الدموي اختبار القتل الخيار الاصعب ،امامكما رجل مريض وامرأة حامل وهناك على الطاولة مسدس عليكما قتل أحدهما لتعبرا وان لم تريدا ستنقلان بالقوة إلى سيبيريا وتتركان في الجليد حتى الموت مع الذئاب الثلجية،الخيار لكما أو قوما بتركيب لوحة الموناليزا المفككة هناك في خمس دقائق فإن فعلتما أحد الخيارين ستخرجان وتموت الضحيتان "

أصيل: كاد قلبي يتوقف كرهت روسيا كرهت جليدها من أول يوم فيها اقاسي عواصف من نوع اخر كل خيار امامي يقود للموت مللت هذا ماذا سأفعل انا لم اقتل أحدا ولن افعل انها مشكلة .

ماريا :خد المسدس أطلق على أحدهما وانتهى الأمر .

ماذا الذي تقوله انا رجل صلب ورغم هذا رق قلبي لهما ولن افعل حتى لو مت وهي فتاة تقول هذا بكل سهولة لو لم تكن هي معي لاخترت أن أموت أما الآن ساختار ترتيب اللوحة على الأقل إن ماتا لن يكون ذلك على يدي ،نظرت إليهما واعتذرت بشدة وبكاء واستدرت لتشكيل اللوحة أخطأت عدة مرات ثم بدأت طلقات الرصاص تشوش عقلي أنظر إلى الضحيتين والى اللوحة واصرخ بقوة أما هي تنظر إلى باستغراب فلو تركت الأمر لها لقتلت كليهما وخرجت لكني أتذكر أن قتل نفس واحدة يساوي مقتل الناس جميعاً كيف افعلها والقرآن معلق على عنقي .

وصلت إلى نهاية اللوحة ونهاية قوتي أشعر بالضعف إلى أن رأيت امتداد حبال من السقف يحملها رجلان ملثمان طوقا بها عنقي الرجل والمرأة وماهي إلا ثواني حتى تمزقت الرؤوس وسقطت أمامنا أغمضت عينيها بيداي كي لا يفزعها المنظر لكني انا من كان فزعا سامحني يا الله لم أعرف ما أفعل ولم أقوى على اتخاذ القرار الصحيح .

ركضنا بعدها لغرفة أخرى تشبه التي قبلها لكنها بها مسابح عملاقة في الأسفل .

"أهلا أصيل أهلا ماريا ،هل تحبان الجليد ،روسيا تعني البرد والعواصف والجليد ،مفتاح الخروج في البركة اخرجاه بعد أن تغوصا في هذا البرد ثم تسلقا تلك السلالم للوصول إلى الأعلى تحت تلك السلالم بركة أسماك قرش وفوق القروش أسلاك كهربائية "

كانت لدي خطة هل يظن الخاطف أني غبي واني سأعبر كل هذا ثم اصل إليه كسمكة ذاهبة إلى المقلاة بسهولة عزمت على تخطي هذه المرحلة ثم المباغتة والهرب لا أعلم الى أين لكني رأيت الضوء في هذه الغرفة

وهذا يعني أن الباب يطل على الخارج وهناك نافدة وماريا خفيفة الوزن وليس علي سوى العمل بسرعة .

أصيل:ماريا تعالي .

همست في أذنها واخبرتها الخطة هلعت في البداية ثم وافقت عليها، علي أن اتصرف بسرعة ادعيت أنني اجرب الحبل قبل الغوص تحت الماء وفي السر كنت اربطه بيدي ويد ماريا كي لا نسقط وقفزت بعيداً ثم ركضت صعوداً نحو الحائط ساعدني وزن ماريا الذي لم يعقني أمامي نافذة زجاجية لا أعلم كيف لكن سرعان البديهة لدي ساعدتني أغمضت عيني كي أركز المكان عال ركزت قليلاً وها أنا اقفز في الثلج لحسن الحظ أن الثلوج متراكمة ما إن خطونا خارجاً حتى دوت صفارات الانذار وانطلقت رصاصات الحراس فقررت أن لا خيار امامي سوى الركض حملتها ورحت اركض لو تركتها أعلم أنها لا تستطيع الإسراع وسيمسكون بنا أصواتهم المهددة أسلحتهم ونظراتهم نحوي والرصاص مصوب باتجاهي لكن لا وقت للهلع تخيلت نفسي أنني داخل لعبة فري فاير افادني هذا كثيراً كان المكان عبارة عن غابة لاشيء سوى الثلوج وبحيرات الجليد لم يكن هناك أي شيء آخر إلى أن سمعت أصوات شاحنات يبدوا أن المكان قرب طريق ما هذا رائع استمر الوضع المشحون إلى أن وصلنا إلى واد زلق وطريق سريع أسفله والرجال خلفنا ماذا نفعل أنزلتها وامسكت يدها وبسرعة قفزت إلى الطريق كادت السيارات والشاحنات تدعسنا لكن نجونا بأعجوبة وتوقفت أصوات الرصاص أخيراً لابد أن الرجال اضاعونا تنفست الصعداء أوقفت شاحنة وصعدنا على متنها وهناك عرفت أن الله حمانا ونجانا من الموت المحتوم أكاد اختنق ماذا نفعل لاشك لن يتركونا وشأننا الآن ،فجاة أمسكت الآيات القرآنية التي كتبت في القلادة التي اعطتني إياها مريم ‘‘الحمد لله رب العالمين الذي لا يترك عباده ‘‘ الآن خططت للذهاب

للجامعة أو فندق ما نبقى فيه وما يحصل لاحقاً لا قدرة لدي على التفكير فيه كنت آمل أن تنسى ماريا فكرة الانتقام من خالها لأن ما شهدته اليوم كاد يقتلني ويقتلها .

"ديميتري"

تركت الضحايا يواجهون مصيرهم وكلفت جوزيف بالمهمة ذهبت إلى جدي لأخبره بأمر الفتاة التي تحمل أمها كنية تسيفو .

الكسندر ليفيتش:مالذي تقوله هل يعقل أن آرون أرسل جاسوسة بيننا قد يكون هذا هو الفخ وأنه يعلم مخططنا ووصل إلى برمجة الرقاقات ويسبقنا اقتلها على كل حال وانا سأذهب لاواجهه .

تركت جدي غاضباً وخرجت.

ذهبت إلى المكان السري وحين وصلت كانت الفوضى تعم المكان بعد أن اخبرني جوزيف أن عشرة فقط تجاوزو الاختبار زاد فضولي لمعرفتهم ،هؤلاء لا شك خارقون للعادة ،الى أن سمعت أن الفتاة ومن معها هربا لا يعقل هذا مع كل هذه الحراسة المشددة وكل هؤلاء القناصين يهرب اثنان ،لم يبتعدا لاشك في هذا ركضت مع الرجال الذين يسبقونني ببضع خطوات إلى نهاية الغابة حيث الطريق الرئيسي وكان الهارب مذهلاً أعجبت به كثيراً يركض دون خوف يحمي الفتاة المريبة بكل جرأة ويتخطى الرصاص بشجاعة حتى انا لم أكن بهذه الشجاعة لقد تجاوز كل الرجال من أمهر القناصين وحده يبدو أن الأمر يتعلق بشخص مذهل نسيت أنه يجب علي القبض عليه وبقيت أشاهد كان أشبه بممثل فلم أكشن .

ديميتري:اوقفو الرصاص دعوه يذهب فات الأوان لقد هرب لنعد الآن أريد رؤية ملفه غيرو المكان وخدو الذين نجحوا إلى اختبار الرقاقات.

"أصيل أشرف ثمانية عشر عاما جزائري طالب جديد في جامعة موسكو المركزية هذا هو ملفه سيدي"

جوزيف : أصيل هذا ذكي جدا يتمتع بسرعة البديهة أذهلني من البداية إنه سريع جدا تحركاته مدروسة بعناية كأنه محترف إنه يشبهك في الجرأة ما ان وصل الى بركة القروش حتى أخد الفتاة وهرب بسرعة قبل أن ينهي الإختبار.

ديميتري:انه لا يشبهني انه اكثر جرأة وشجاعة مني إذا كنت انا الذئب الابيض الروسي الذي لا يستطيع التأقلم في مكان ما فهذا الفتى هو ذئب الصحراء الذي لن تعيقه الثلوج يجب ان تحضروه بأي ثمن .

"آرون والكسندر"

في أحد الحانات التي تنتمي لرواد الليل كبار زعماء البلد يتواجه آرون وألكسندر.

الكسندر: كنت أظن أن المنافسة بيننا تزداد حماسا وأنك انتقلت لمستوى أعلى لكن خطتك الجبانة تذل على صغرك الشديد .

آرون: انا بالفعل في مستوى أعلى لكن أي خطة تقصد السلاح الشامل الفتاك ذاتي الاستعمال ام روبوتاتي التي لن ينافسها أمثالك.

الكسندر:لا تدعي الغباء اقصد الفتاة التي تنتمي لعائلتك والتي ارسلتها على أساس مهاجرة للتجسس علينا لكن ملفها كان مكشوفاً وفشلت خطتك لحسن الحظ أن من معها كان فتاكا وقام بتهريبها اردتني أن اقتل فرداً من عائلتك لتجد سببا مقنعاً تجمع من خلاله اتباعك وحلفائك للقضاء علي لكن فطنة حفيدي الشرس كالعادة قضت على آمالك .

آرون:أي فتاة تقصد ؟هل هي مزحة منك لتعلن الحرب مبكراً انتظر موعد الانتخابات على الأقل لتكون البداية منظمة أيها العجوز الخرف.

الكسندر: تدعي الغباء مجدداً اتحدث عن ماريا في ملفها عثرنا على كنية تسيفو من جانب الأم هل هي ابنة اختك المفقودة ؟

آرون : باستغراب:هل تحاول اللعب معي؟

الكسندر: سأذهب الآن ليس لدي وقت لامثالك بعد الانتخابات سأقضي عليك سأحكم العالم أما أنت ستظل تابعا لكبار السياسيين الذين تحتمي بهم أحذرك من ارسال الاتباع لأن حفيدي سيقضي عليكم جميعاً.

بقي آخرون محتارا أهي مزحة ام ماذا ؟

سيمون تعال الى هنا أريدك أن تعثر على أحد وتقتله فتاة ما لابد أن تموت الليلة.

عادت لآرون دكريات الماضي حيث خالفت أخته نظام المافيا والقانون الأسري المحكم وبدل أن تقف في صفهم عارضتهم وذهبت إلى المجهول لأجل رجل مسلم واختفت ولم يسمع عنها منذ سنوات فكيف في هذا الوقت العصيب تعود .

"هذا لا يصدق تريد أن تقتلني وتنتقم هذا مؤكد لقد أعدت ابنتها جيدا لقتلي والانتقام لمحمد ومن يدري لعل الكسندر تخالف معها في انتقامها للاستلاء على اسلحتي "

"أصيل وماريا"

كنا متعبين جدا لحسن الحظ أن جيوب سروالي تحمل أهم أوراقنا واموالنا وإلا ما كنا استطعنا شراء شيء أو المبيت في فندق ،اخترت

مكاناً فقيراً لأن الفنادق الفخمة مريبة بالنسبة لي قد تكون تابعة لزعماء مافيا ما ،وهناك تشاجرت مع ماريا التي كانت مصرة أكثر على الانتقام .

ماريا :إذا كنت خائف دعني أذهب وحدي لا احتاجك.

أصيل:كفي عن الهراء ،نحن لا نعلم من خطفنا وماذا يريد أهو خالك ام شبكة تجارة بالبشر أهم يتبعوننا أم لا أنا لا أعلم خرجنا من مصيبة وتريدين إدخالنا في أخرى.

ماريا :لا يهمني حين طلبت منك المجيء إلى هنا قبلت فلا تتردد الآن وإلا عد الى بلدك وافعل ما يحلو لك أنت جبان ونا لا أريدك.

أصيل:لست جبانا لكن ما تقولينه غباء.

ماريا:ساخرج غدا وابحث عن مكانه وانتقم وحدي انا لا احتاجك اعطني المال وسأتصرف.

أصيل:ضاع أغلب المال بقي المال الذي نحتاجه في الجامعة.

ماريا :لا يهمني .

كانت مصرة وبشدة هذه الفتاة باردة القلب حقا كل ما رأيناه اليوم ولا زالت مصرة إنها تضعني بين خيارين إما أن ارافقها أو تفعل شيئاً متهورا ،امها وضعتها أمانة في عنقي ماذا افعل؟

"ماريا"

حل الصباح وذلك الغبي في غرفته المجاورة أعتقد أنه ينام ،قررت الخروج إلى الشوارع وتحري مكان "آرون تسيفو"سأذهب للمقاهي والحانات واشتري مسدساً لن أنتظر أصيل فما حدث بالأمس قد اخافه

لن يفيدني بشيء وعلي تركه أنا اسير خلف انتقامي لوالدي الذي حرمت منه هو لن يفهم هذا مطلقاً .

وصلت إلى حانة تبدو مريبة اخترتها لأن من يدخلون جميعاً ببذلات رسمية من المستحيل أن لا أجد معلومة هنا فهذا المكان من جحور المافيا.

جلست وقدم لي النادل الشراب ،يالهي لقد ترعرعت في الجزائر لم يكن هذا مألوفاً بالنسبة لي لكن طالما قررت العيش هنا سأعتاد ،يجلس بجانبي رجل يبدو عليه الثراء يرمقني بنظرات الإعجاب إلى أن قال "شراب الآنسة على حسابي" أعجبني التصرف وقررت أن استغله .

ماريا : مرحباً آنا ماريا .

الرجل: أهلا ماريا إنها اول مرة أراك هنا.

ماريا:انتقلت حديثاً إلى هنا هل يمكن أن تقدم لي خدمة ؟

الرجل:تحت أمرك سيدتي الجميلة.

واعطيته ورقة تحمل اسم "آرون تسيفو "وخاطبته بدلال أين يمكن أن أجده ؟فرد علي باستغراب"آرون تسيفو"اخفضي صوتك قد يكون أحد رجاله هنا "

ماريا:ومالمشكلة؟

الرجل: إنه صاحب أخطر عصابات المافيا في روسيا وأوروبا ماذا تريدين منه الجميع يخافه.

ماريا:لاشيء فقط أردت أن أعرف لدي مقال صحفي عن أحداث سياسية واردت الكتابة عنه .

الرجل: أنتي صحفية ؟هذا خطر إن كتبتي ما يسيء إليه ستورطين نفسك .

ماريا :لا تقلق اريد تملقه فقط .

الرجل:سيكون بعد غد في ساحة العاصمة إنه حليف لوزير السلاح سيكون معه يوم التعيين والتحضير للإنتخابات إن اردتي تغطية الخبر ارافقك .

ماريا: شكراً لك .

أعطاني رقم هاتفه ومعلومات هامة ظننت أني لن أعثر على أي معلومة لكنه رجل معروف بأنه رجل أعمال ولا احد يعلم تحركاته فقط الظاهرة منها من الجيد أن يوم التعيين قريب وإلا كان سيطول اللقاء علي الآن تدبر أمر السلاح لن يكون صعباً من قد يرفض تقديم خدمة لفتاة جميلة مثلي .

بعد يوم كنت جاهزة لكل شيء بقيت الخطة الأخيرة ساعدني ذلك الرجل في أمر السلاح لكني لست ماهرة وهذه مشكلة لكن لا يهم المهم أن اشفي غليلي ودخلت للإنترنت لإيجاد طرق استعماله وغيرها أما أصيل لم أكلمه أبدا اعتقد أنه غاضب لأني عدت في المساء من يحسب نفسه ،الى أن سمعت دقات الباب ،ووجدت أنه هو .

أصيل:مالذي يحدث لما لم تكلميني من الأمس.

ماريا : أنت لا تريد مساعدتي وتريد فقط أن تبقى بأمان وافقت على طلبي فقط كي تأتي معي وغيرت رأيك.

أصيل: الأمر خطير جداً عليكي منذ أول يوم هنا واجهنا عصابة لا ندري ما ينتظر ،ماهذا الذي في الكيس؟

ماريا :هذا ليس من شأنك.

أصيل:دعيني أرى،يا إلهي مسدس؟هذا خطير من أين احضرته.

لم أتمالك نفسي حين رأيت المسدس وامسكت رأسها ورفعت صوتي "من أين احضرته ؟"اجابتني انها اشترته لم أصدقها من قد يبيعه ومن أين لها ثمنه فالمال كله معي لا شك أنها خرجت وطلبت من أحدهم شراؤه لها .

رميت كل شيء كان في الغرفة وحطمت كل ما أجده أمامي.

"في الوقت الذي أنا فيه اموت قلقا وخوفا على مصيرنا تخرجين لشخص آخر ليحظر لك سلاحاً لهذه الدرجة لا تثقين بي "

ماريا : أريد أن أفعل كل شيء بنفسي غدا سيكون ذلك الرجل ميتا وأنت إذهب إلى حيث يحلو لك.

أصيل:لما احضرتني من البداية.

ماريا :كنت خائفة أما الآن لا يوجد ما اخسره أريد فعلها ولا يهمني شيء آخر أنت جبان .

كانت كلماتها كالصاعقة بالنسبة لي الرغبة في الانتقام أعمت عينيها كلمة جبان دمرتني وإدراك أنها تستعين بشخص آخر يجعلني افقد عقلي كل ما فعلته لأجلها ولا تريدني الآن .

أصيل:ماريا تريثي وفكري بعقلانية أنتي مجرد بنت صغيرة لا يمكنكي الوقوف في وجهه ألم تري ما حل بنا في يوم الاختطاف كنا سنموت لولا قدرة الله هؤلاء الأشخاص لا يمكن قهرهم نحن حشرات مقارنة بهم دعي الله ينتقم ويعطي لصاحب الحق حقه.

ماريا:ببكاء:تقول هذا لأنك لم تعش حياتي دون أب لم يكن معي في أهم اللحظات بينما اقاسي وحدي وحين عرفت من قتله هل سأتركه حيا أنا لست جبانة مثلك ولا ضعيفة مثل أمي التي هربت دون أن تثأر لأبي.

كانت كلماتها تمزقني لكن ماذا افعل أنا لست جبانا لكن هذا خطير هذا انتحار انا في بلاد ليست بلادي أمام قوة لا يغلبها سوى الله أردت المجيء معها لندرس ظننت أنها حين تعيش أيام جميلة في روسيا ستنسى القصة لكنها عنيدة ،لن أتركها تفعل شيئاً.

ماريا : أريد أن أنام أخرج من هنا مللت منك انت غبي .

أصيل:كرري كلمة غبي وسترين أنتي لم تجربي غضبي بعد .

ماريا :اذهب انا لا احتاجك .

تركتها كي تهدأ لكنني سأراقبها كي لا تتهور وتقضي على حياتها في لحظة طيش .

بينما احضر نفسي للجامعة افكر هل سيعثر علينا من اختطفونا وأدعو الله أن يجعلنا بأمان حتى اجد طريقة لمغادرة هذه البلاد .

"ماريا"

أخبرت ذلك الرجل على الهاتف أن يدبر لي رقم آرون اللعين وغدا صباحا في الساحة وبين الحشود سأقضي عليه وأهرب بعيداً .

يوم الغد يوم مهم وخطير وصعب ينقل أبطالنا إلى مستوى آخر في معترك حياة لا ترحم.

"ديميتري"

منذ يومان لا يشغل تفكيري سوى ذلك الفتى ليس هروبه ما يهمني فبعض الناس يهربون صدفة ،لكن أن تكون غريباً في بلاد لا تعرفها وتخاطر لأجل إنقاذ شخص آخر دون أن تكترث للرصاص وتملك السرعة في التنفيذ وأنت مجرد رجل عادي لا تنتمي إلى عصابة ولم تتلقى تدريب هذا يدعو إلى الانبهار ،وما زاد تفكيري فيه الجرأة وعدم الاكتراث التي لديه يهرب من بين أيدي مافيا ليفيتش أي شجاعة يمتلك أشعر أنني الوحيد الجبان في داخلي ضعف خفي لايعلمه من حولي والغصة تقتلني أريد أن أصرخ أن أحطم جبلا كي يشفى غليلي أريد أن أكون "أصيل أشرف "لاهرب وأشعر بالادرينالين الذي يأتي بعد التخلص من قيود ليفيتش ،ان اغير اسمي واهرب بعيداً حتى لو عشت دون هوية .

ولأني شغوف بالقراءة اخذتك كتبا تاريخية عن الثورة الجزائريةوبدأت بقراءتها.

"الشعب الجزائري يد بيد لقهر فرنسا القوة العظمى بإمكانيات بسيطة وشجاعة عظيمة ثلاثة نساء يفجرن مقاهي على رؤوس روادها وإعلان حالة الطوارئ "

"شاب جزائري يدعى زيغود يوسف يهرب من السجن الأكثر حراسة خلال الاستعمار يقود ملحمة الشمال القسنطيني"

ديميتري: أظن أن أصيل هذا قد ورث شجاعة أجداده فماذا ورثت أنا سوى القتل بلا فائدة أصيل هرب وتحرر لإنقاذ إنسان بينما الهث ككلاب الهاسكي وراء قتلهم أشعر بالضياع وأريد إخراج ما بداخلي لكن أشعر بالخجل والخوف ستظن المختصة النفسية أنني جبان إن عدت إليها كانت محقة احتاج مساعدة .

تذكرت ما قرأت عن الجزائريين رغم اني أنتمي لأسرة عنصرية تبيع البشر وتتاجر بهم أراني اليوم معجبا بأبناء عرق آخر كنت أظن أنهم دون مستواي ومثلما لم يخف أصيل من مافيا ليفيتش لم ترعب فرنسا زيغود ،ومثلما ارتجف خوفاً من غضب العائلة التي ستمحيني إن خالفتها ارتجف جنرالات فرنسا أمام بن مهيدي يوم إعدامه ،لم يخف هؤلاء لأن هدف التضحية بأرواحهم كان يقود الضمائر الحية فيهم أما ضميري فهو جبان يخضع للسلطة الراهبة التي تقيدني .

ياليتني ولدت جزائريا فقيراً حرا يتنفس الحرية كالهواء لا يعترف بشيء سوى المباديء ،هؤلاء الأشخاص من العالم الثالث علموني اشياء لم تستطع حضارتي العظمى أن تلقنني إياها.

"أنا أريد أن أكون حرا أن اركض والتنفس الهواء وانام ذون كوابيس لكن لن ترحمني الأرواح التي ازهقتها "

"اليوم التالي"

إنه اليوم الموعود الذي تخطط فيه ماريا لإنتقامها استيقظت وهي تتذكر قصة والدها وحياتها التي عاشتها بدونه ،جهزت حقيبة بها سلاح وقناع ومنظار حملتها وخرجت ليتبعها أصيل الذي كان يراقبها باستمرار محاولا منعها لكن كل محاولاته لا تنفع .

ماريا :لا تتدخل في شؤون لا تخصك .

أصيل:توقفي عن الجنون ستؤدين نفسك أنتي لا تجيدين استعماله حتى .

ماريا : إن لم افعل سأقتل نفسي حينها لا معنى للحياة إن لم أفعل ليس لدي ما اخسر .

أصيل:هذا حرام ستخسرين مرتين مرة في الدنيا والآخرة.

ماريا:لا تدعي التدين ألم ندرس عن القصاص وغيره أم أنك نسيت .

أصيل:لن ينفعك هذا أنتي أمام شخص أقوى .

ماريا:دعني أذهب إنه قاتل ويستحق القتل إن منعتني سأنتحر بطريقة ما وستكون روحي في عنقك وتكون قد خذلتني ودع ضميرك يؤنبك طوال عمرك .

كان كلامها كالصاعقة عليه وضعته أمام اختبار حقيقي أمام صوت العقل الذي يقول لا تفعل الى صوت القلب الذي يقول افعل لأجل الحب ،وبنظرة حزن من أعينها الجميلة استطاعت أن تؤثر على عقله وافق.

أصيل:اتركي المسدس من يدك انا الرجل هنا وأنا من سيفعل .

ماريا:ماذا عن الخطر والعقاب.

أصيل:لست جبانا وسترين .

ماريا :في نفسها"هذا رائع ساحقق ما أريد دون أن الوث يدي شكراً أصيل الغبي "

وعانقته لأول مرة ظن الفتى أن العناق عناق حب فزاده هذا عزما على تلبية طلبها كي يكبر في نظرها .

أصيل:لن أكون رجلاً إن لم ادفع حياتي ثمنا لأجل من أحب.

في تلك الساحة منتصف موسكو على وشك أن يبدأ خطاب أهم الوزراء الذين يعلنون عن الانتخابات ليدعمو مرشحهم الرئيس ،كان وزير السلاح إلى جانب آرون .

الوزير: أهتم بالأمن ولا تقلق ستغزو اسلحتك وروبوتاتك روسيا والعالم انا حليفك .

آرون: أنت اجعل الرئيس يتبنى ابتكاراتي وأنا سأجعلك في القمة .

وخلال صعود الوزير للخطاب وصل أصيل وماريا إلى بناية مرتفعة تطل على الساحة المركزية جهز أصيل نفسه رغم أن الرعب يسيطر عليه بينما ماريا تراقب في الطابق الأسفل بالمنظار لتعطي أصيل الإشارة عندما يصعد آرون إلى المنصة .

أصيل"هل سأقتل ؟انا لم اقتل نملة في حياتي "

ثم نظر إلى الآيات في القلادة وخجل من الله فنزعها بألم .

يارب سامحني أفعل هذا لأني أحب شخصاً لن يحبني إن لم افعل يارب سامحني .

كان صغيراً ولا يملك خبرة في الحياة يظن أن التضحيات والشجاعة التي سيقدمها سيجد من خلالها المقابل لكن اخطأ بسذاجة .

"سأدخل السجن أو اموت بدلاً عنها "

خلال مراقبتها الوضع ترى آرون والرجال حوله والسيارات الفخمة التي يملكها وبإشارة من إصبعه يغزون العالم لأجله كل هذه الثروة كل هذه الأملاك كانت سيكون لها نصيب فيها فشعرت أن الحياة خدعتها لو

لم تتمرد أمها لكانت ثرية لكنها اختارت واقعاً بقرار غبي هذا ما فكرت فيه ماريا ،شعرت بالرعب من فكرة الانتقام في آخر لحظة كأن عقلها استيقظ أخيرا .

ماريا: إنه كملوك العالم سيسحقنا كالحشرات إن علم بنا كل هذه الثروة من حقي أيضا ماذا افعل تشوش عقلي .

وجاءت في ذهنها فكرة أخرى .

ماريا : أصيل سأعطيك الآن صورة آرون أنظر هناك إنه في المنصة خد المنظار.

وبذل أن تعطيه صورة آرون أعطت الفتى صورة الوزير.

سأنزل إلى الطابق الأسفل لاراقب وبإشارتي أطلق النار عليه أعتمد عليك .

أصيل:حسنا انتها الأمر سأفعل.

ونزلت الأسفل لتنفيذ خطتها الخبيثة .

"إتصال هاتفي"

آرون:من معي ؟

ماريا :انا شخص سينقد حياتك هناك من يخطط لاغتيالك الآن أريد أن أخبرك عن أمره بشرط.

آرون:لدي رغبة بالضحك انا اغتال؟امزحي بعيداً رجالي سيعثرون عليكي من خلال رقمك وستموتين ليس لدي وقت للفئران امثالك .

ماريا : في مكان ما عال جداً يقف قناص يوجه سلاحا من آخر طراز برصاصة من عيار عال الدقة حتى رجالك لن يوقف الرصاصة وحدي من يمكن إيقافه شرط أن اصير من اتباعك .

آرون:من أنتي .

ماريا:انا التي تعرف كل شيء .

آرون:نفذ صبري ليس لدي وقت.

ماريا : أنا ماريا ابنة آنا تسيفو .

آرون:ماذا ؟تمزحين ام تخططين لشيء ما لا يهمني سأقضي عليكي هذه المرة .

ماريا : أنا جادة سيغتال الوزير الآن من طرف شاب عربي إرهابي وانا بحنكتي علمت مخططه عد للعشرة وسترى العرض.

آرون:تبا لك.

وأغلق الخط .

أيها الرجال أمنو المكان جيدا احمو الوزير .

مالعمل الوقت والمكان ليس مناسباً إن حصل شيء للوزير لن يتبنى أحد اسلحتي ولن يدعم السياسيون مشروعي إن كانت محقة فأنا في خطر أين هذا القناص الوقت ليس في صالحي.

تصعد ماريا لأصيل وتشير إليه كي يطلق النار على الوزير ظنا منه أنه آرون وتنزل هي بحجة الخوف من صوت الإطلاق .

أصيل"لا أعلم مالذي افعله إنها كلعبة لكن هذه المرة في الحياة وليس قتل صديقي داخل لعبة افتراضية هذا مؤلم "

وضغط الزناد على رأس ضحيته رغم أنه مبتدئ وماهي إلا ثواني حتى سقط الوزير على الأرض أمام أعين الجميع من مواطنين وصحافة ورأي عام ،اما الفتى فكاد قلبه يتوقف مالذي فعلته كيف اهرب الآن وحمل امتعته يبحث عن ماريا راكضا.

"اتصال هاتفي"

ماريا : أرأيت العرض أخبرتك أن معلوماتي لا تخطئ.

آرون:وما ادراني أنكي الفاعلة وفعلتي هذا لتوقعيني في شباكك .

ماريا :في البناية العملاقة مقابل الساحة هناك شاب شعره اسود يحمل حقيبة على وشك النزول المصعد معطل يهبط من إدراج هو الفاعل .

آرون: حسنا.

ماريا :ستحميني حين تصل الشرطة فأنت مجبر على هذا حين يحققون ويجدون أنني في المكان سيشكون أن لك يدا في ما يحصل

آرون:تبا لك.

اتبعوني يا رجال .

وانطلق الرجال إلى المكان الذي حددته ماريا وعرفت الشرطة موقع إطلاق الرصاص .

أصيل"أين انتي ماريا لنهرب "

ماريا "أصيل تعال انا لست بخير"

أصيل"أين أنتي؟"

وظلت تستدرجه حتى وجدها .

انتي بخير هيا نرحل بسرعة الوضع خطير جداً.

ماهي إلا لحظات حتى وصل آرون ورجاله فعثرو على أصيل وماريا هناك .

ماريا :هذا هو القاتل .

وأشارت إلى أصيل المصدوم الذي توقف به الزمن وخفق قلبه ينظر إليها وهو لا يصدق ما قالته أي حفرة وقع بها ،طوقه الرجال المسلحون من كل جانب ووصلت الشرطة ،لكنه لم يأبه لأحد بل بقي ينظر إليها.

أصيل:هل انا في كابوس ؟ارجو أن استيقظ منه حتى لو انتزعو روحي كنت سأقبل لكن سماعها وهي تشير الي بكل برود إنه القاتل لم صدمني فقط بل شعرت أن الرصاصة التي اطلقتها ارتدت إلي لم ينطق لساني بحرف وتوقف الزمن ،ونظرت إليها بنظرة تخبرها ماذا قلتي ،لكني رأيت في عينيها شخصاً شريرا لم أعرفه يوما هل هذه أنتي ؟

ذهبت ماريا خلف آرون بعد سماع الشرطة كي لا توقع نفسها في ورطة .

ماريا :بصوت منخفض : أرأيت لقد أخبرتك أن لدي معلومات وأنكم مستهدفون .

آرون: لن استطيع المخاطرة بك لأنكي تحملين كنية تسيفو ليس حبا أو شفقة لكن سيظن الجميع أن لدي يدا في ما يحصل وانا لم أعتد على ترك نقطة استفهام في أعمالي.

ساحقق في الأمر وإن كان هناك علاقة لك سأقتلكي دون رحمة .

تحت نظرات الاستغراب والحيرة والصدمة وأصوات المروحيات التي طوقت المكان يقف أصيل شامخا ينظر إليها نظرة الغضب ،مات أصيل

لكن ليس برصاصة بل بكلمة غادرة بعد أن دفع ثمن حياته في سبيل من يحب كان سيفرش لها الأرض ذهبا فحفرت له الأرض قبرا .

كانت ماريا تحت حماية آرون لن يخاطر بهذا كانت خطتها محكمة أن تهدده بأنه وراء الأمر فهي تقربه على كل حال وسيقع في ورطة .

"الصحافة"

اغتيال وزير السلاح الروسي أمام مرأى الجميع في الساحة المركزية من طرف شاب مجهول عربي ،تقول الشرطة أن الفتى إرهابي وقد صنفت هذا الاغتيال ضمن مخطط إسلامي محكم التنفيذ.

خرجت الشرطة تقيد أصيل وتقتاده كمجرم إرهابي ،الفتى الذي يدافع عن الحق ويبتسم للأطفال ويحب من قلبه صار إرهابيا بسبب إمرأة.

أصيل: إنهم يقيدونني والجميع يحدق بي كمجرم خطير رغم اني ضحية قلب أحمق اتبع حبا لا يستحق ،اشعر بالخوف والضياع وسكاكين الغدر تجتاحني من سينقذني الآن ،سادفع الثمن مرتين في الدنيا والآخرة ليس وزيرهم من مات أنا من مت اليوم ،لما فعلت هذا لماذا ؟فيما أخطأت كانت ستنتقم من خالها فلما انتقمت مني ،كنت سأدخل السجن لأجلها لو طلبت لكنها ارسلتني للجحيم .

"حواء الأولى أخرجت آدم من الجنة وحواء اليوم تدخلني الجحيم "

يارب سأحتمل السجن لكن اغفرلي قتل النفس التي لم تؤذني يارب امنحني القوة أو خذني إليك لأرتاح وإن كان كابوساً اجعلني انهض من نومي وانا لن اخطيء من جديد .

"لا تلمس بكاء قلبي ،لا تلمس صراخي ،لو كنتم تقصدون أن هذا هو الحب ،فأنا أتخلى لا تحبيني لم أعد أريد"

انتشر الخبر كالنار في الهشيم ووصل البلد حتى ام اصيل ومريم عرفتا ودخلت امه في صدمة اردتها طريحة الفراش في غيبوبة ابنها الذي ارسلته ليدرس ويصبح رجلا عظيما ذا شأن يظهر في اخبار عالمية على انه قاتل ارهابي كمجرم قناص ،طفلها الصغير الذي خافت عليه نسمات الهواء سينام في زنزانة بين القتلة والمجرمين اي حقيقة هذه اي صدمة ستتحملها ام ضحت بكل شيء لاجل ابنها لتكون له هذه النهاية المأساوية .

"مريم "

تلقيت الخبر كالصاعقة كاد قلبي يتوقف فكيف امه ،اصيل هذا مستحيل حتى لو رايته بنفسي يفعلها لن اصدق هذا انه بطلي وفتاي الطيب وملاكي البريء يستحيل ان يفعل هذا لم يكن معي رقم ماريا لأعرف وامها ايضا قلقة اردت الذهاب ولقاءه واشعاره اني معه اصدقه وادعمه لكن لا حيلة لي فما عساي افعل.

"ديميتري "

استيقظت في الصباح تفقدت الاعمال والاسلحة واجراءات التجربة ،عرف جدي من جوزيف امر اصيل وكيف هرب منا وقد اعجب به انه يحب التمرد أمرني بالعثور عليه ،وانا بدوري اردت العثور عليه ليس لإجراء التجربة بل لأستمد منه القوة للتحرر من قيودي صار مثلا لي .

فجاة دخل جوزيف .

"سيدي سيدي تعال الى هنا هناك خبر على التلفاز "

ذهبت لألقي نظرة فجأة صعقت رأيت الشاب يظهر في الاخبار وقد اغتال وزير السلاح ،لا اصدق اي عظمة واي قلب يحمله بين اضلاعه لقد فاق الشجاعة ،رأيت نظراته الباردة ،كنت القب بالحجر وبارد القلب

لكنه فاق هذا ،انه جامد كالجثث تماما ،اخبرني جوزيف أن لتلك الفتاة علاقة ما فقد كانت هناك لكن بطريقة ما ساعدها آرون كي لا يقبض عليها .

ديميتري :جوزيف جهز السيارة اريد الذهاب الى حيث يقتادونه بسرعة .

وما ان وصلنا كانو ياخذونه لمركز الشرطة وسط المروحيات والحراسة المشددة والصحفيون في كل مكان ،كلهم لاجل رؤية الفاعل ،بالأمس كان يذهلني واليوم يخيف الجميع ،سياخدون اقواله واعترافاته ويستدعون ممثلي الجزاير اظن ان ازمة دبلوماسية ستحدث بين البلدين بسبب هذا الفتى انه في مازق .

"في المركز"

اصيل :حتى لو انكرت لن ينفع بصماتي على السلاح بعد ان مسحت بصماتها وبالفعل انا من اطلق النار المسدس معي والادلة ضدي سأعترف بكل شيء ولن اكذب استحق ما يحصل لي نتيجة الغباء والثقة الحمقاء في الافعى التي طوقتني .

المحقق:اصيل اشرف انت تعترف بجرمك ولا تنكر التهمة الموجهة اليك .

اصيل :نعم .

المحقق :لماذا ولصالح من تعمل .

اصبل:لن اخبرك باي شيء آخر .

قلت في نفسي خذوني السجن مسكني وملاذي ان خرجت فقد اقتلها واشرب دماءها ‘‘

ثبثت التهمة على اصيل وسيوضع في زنزانة انفرادية الى ان يحاكم ويقتاد لاخطر سجن في روسيا ‘‘سجن الدولفين الأسود في مقاطعة اورينبورغ’’

‘‘عشقت نجمة لا تريد سمائي’’

الفصل الرابع:

"أصيل "

"رفضتني أحلامي ،رفضني أبي ،وفريق الكرة ،وحبي الأول ،رغم أني لم اطلب المستحيل كل ما تمنيته كان عاديا رفضت كأني لم أسعى لشيء يوما "

تمت محاكمتي في بلاد غريبة ،حكمت في حكم أولي بالسجن المؤبد إلى أن تحين المحاكمة النهائية اوقعت بلادي في أزمة دبلوماسية كل من رآني كرهني يقتادونني في حافلة مظلمة إلى أخطر سجن في أوروبا "الدلفين الأسود " حين تقول الدلفين الأسود تقول الجليد كل شيء متجمد من سيخرج من هذا الجحيم البارد سيلقب بالراجع من الجليد فهل سأعود من الجليد زحفا أم تابوتا لا أحد يعرف حول الحافلة عشرات السيارات من شرطة ومخابرات ،كأنني سأهرب لمكان ما أنا الذي لا يقوى حتى على التنفس بين ليلة وضحاها صرت عجوزاً ،توقفت الحافلة لا شك أننا وصلنا ،قيدو قدمي ببعض وكبلو يدي واغمضو عيوني وعصبوها لا أرى سوى الظلام ،اسمع همسات الحراس وصوت فتح الباب باب جحيمي ،رغم أن الجحيم كان عيونها وهي تنظر إلي بدون ذنب تقتادني إلى جلادي .

أنا الطائر الذي قص جناحه .

انا قاضي نفسي ومحاميها الذي حكمت بإعدامي .

جرحي ودمي أنزف وانا جلادي .

اصبحت شاعراً بل فيلسوفا إن لم اجن سأنتحر ولا شك ربي سامحني .

فتح الباب الذي يتوجه للزنزانات سمعت الحارس.

"السجين 101الزنزانة 68"

لا أرى شيء لكنه يقصدني أصبحت مجرد رقم يا أمي انا بعد أن اخترتي لي اجمل الاسماء وربيتني كي أصبح افضل الأبناء صرت مجرد رقم تبا ،ما أعجبني في الأمر أن رقمي 101لو كان 106لأحرقت السجن بمن فيه واريتهم العاصفة الثلجية على أصولها .

"ماريا "

لا أحد يعرف الحقيقة سواي حتى أصيل فضل أن يتحمل التهمة ،الغاية تبرر الوسيلة دوما ووسيلتي تغيرت بعد أن تغيرت غايتي تحالفت مع آرون وكسبت ثقته وصار يكلفني بالمهمات بل احبني وتقبلني قال أنني اختلف عن أمي ،معه حق فضلت أمي أن تضحي بحياة فاخرة تقدم إليها كل الأملاك لأجل رجل جعلها وحيدة وغريبة لأجل حب تافه لا معنى له من يصدق أن عدوي ومن تمنيت قتله صار احب شخص لي لم يعد آرون بل خالي تخليت عن كنية أبي الذي لم ارث منه شيئاً سواها وفضلت تسيفو التي جعلتني أملك كل شيء ،تغيرت كثيرا في أيام صرت أوروبية حقيقية لا تخضع لدين ولا تعاليم كنت أعيش مرغمة في حياة لم اقبلها يوماً .

"مريم "

منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي رأيت فيه أصيل على التلفاز مكبلا صارت الحياة مريرة ،كنت احتمل فراقه حين كان بخير أما الآن فأحس أني لا أستطيع العيش دون فعل شيء ،اما أمه فهي طريحة الفراش لا تستطيع الحراك ،وانا ضعيفة عاجزة عن فعل شيء.

مرت الأيام ولا شيء في حياة أصيل سوى البرد والجليد استطاع تحمل كل شيء سوى البرد فثعلب الصحراء لا شك يحن الى الرمال الجليد هنا صديق السجناء ،بثياب رثة وانعدام الدفء بين القتلة المتسلسلين واكلة لحوم البشر ومغتصبي الأطفال يقبع فتانا البريء متجمدا من الداخل والخارج إلى جانب رفيق زنزانة مجرم من الدرجة الأولى مقيد الأيدي و الأرجل لا تقدم لهم سوى وجبة واحدة في اليوم ولا يوجد خروج سوى يوم واحد إلى الساحة الخرسانية التي تزيدهم بردا فرياح القطب لا تغادر المكان ،كان أحب فصل لديه هو الشتاء وقد كرهه كرها شديدا بعد أن جرب قسوته .

"أتى أحد الحراس وقادنا إلى الساحة أخيرا بعض الضوء الذي لم أستطع تحمله بسبب اعتيادي الظلام "

جون:من هذا السجين ؟

ستيف :لا أعلم يقولون أنه الإرهابي الذي اغتال وزير السلاح سمعت الحارس يتحدث قبل قليل أن يشددو مراقبته فهو خطير .

جون: إنه صغير ووسيم خسارة لكن لنتوجه زعيماً إنه المتهم الأكثر فتكا .

ستيف : أجل رجل بشجاعته هو سيد السجن بالنسبة لي .

جون : إياكم أن يتعرض له أحد .

ستيف:ومن يجرؤ.

جون :يبدو عربيا مغربي هو ام مصري؟

ستيف :بل أخطر إنه جزائري .

جون :سمعت عنهم وعن عصبيتهم شرف لنا أن يتواجد أمثالهم في السجن هذا تاريخي .

أصيل:شاهدت أفلاما كثيرة عن السجون توقعت أن يتم ضربي أو اهانتي لكنهم يعاملونني كبطل هنا وهذا لسوء الحظ فقد أردت أن يطعنني أحدهم وانتهي من هذا الهراء .

كان التنافس حول القوة والسلطة والسلاح يشتد بين آرون وألكسندر ووصلا إلى أعلى الدرجات ،تباع أسلحة آرون الفتاكة بأثمان باهضة ورقاقات الكسندر صارت متاحة لكنه ليس راضياً تماما يريد تجريب أقصى حد لها لكن العينات لا تحتمل ،فكان أكثر ما يشغلهم أن الشاب الذي هرب منهم بين أيدي السلطات في السجن وقد اعتبروها خسارة .

ألكسندر: ذاك الشاب لقد خسرنا قوته وقدراته لا زلت أتذكر تعابير الرعب على وجه آرون بعد أن رآه وقد اغتال الوزير .

ديميتري: ظهر كأسطورة وغادر كأسطورة إنه سر أسعى لاكتشافه.

الكسندر:دع الوقت يمضي وأنا سأخرجه من سجنه بطريقة ما.

ديميتري في نفسه"أنت انشغل به وانا سأخطط لمغادرة المافيا حتى لو كلفني هذا حياتي وقضيت على الجميع لن يكون ذلك الرجل البطل الوحيد "

الكسندر:سأبحث عن طريقة للعثور على تصريح لرؤيته في السجن ستزوره هناك نريده أن يكون حليف ليفيتش داخل "الدلفين الأسود"

ديميتري:حسنا لك هذا .

جاء اليوم الذي قام فيه الكسندر باستخدام قوته في إيجاد طريقة لزيارة الشاب الجوهرة المنسية داخل أخطر السجون.

"ديميتري"

أنا متوتر جداً سألتقيه في السجن ليس هذا ما أردته فقد أردت رؤيته خارجاً لأكتشف هذا الرجل الشجاع عن قرب لكن لا بأس ،ركبنا سيارة أنا وجوزيف المكان هناك بعيد في منطقة حدودية باردة جدا لا ترى سوى بياض الثلج وبرودة الجليد ،اوقفنا السيارة لنستريح في قرية قريبة من السجن اميالا ،ذهب جوزيف لشراء بعض الطعام أما أنا أفكر قليلاً في صمت إلى أن لمحت الناس من السكان المسلمين يسيرون في صفوف للذهاب إلى المسجد فبقيت أراقب ،الى أن سمعت صوت الآذان ،كان جميلا كالسحر أعطاني قوة روحية كنت قد فقدتها فرجال المافيا أمثالي لا يستمعون حتى إلى أجراس الكنيسة ولا إلى مواعظ القس ،لكن كان الآذان مختلفا رغم اني لم أعرف معناه شعرت بالهدوء والسكينة هل فيه سحر ما فالمسلمون أيضاً يرتدون بذلات فخمة ويتاجرون ويعملون لكنهم يتركون كل شيء ويتوجهون إلى المسجد بعد سماع الآذان ،خرجت من السيارة بعد خمس دقائق لقد تأخر جوزيف ،الفضول يعتريني سأذهب للمسجد وارى عن قرب على كل أشعر بالملل ،اقتربت منه كان صرحاً عظيما البعض بدأ بالخروج والبعض في الداخل بقيت أراقب وأتأمل الجدران المزخرفة،اقترب مني رجل كبير ابيض اللحية وخاطبني .

العجوز: السلام عليك يا بني أراك واقفا هل تحتاج مساعدة.

ديميتري:"لم أعرف كيف اجيبه "لا شيء أنا فقط أرى المكان .

العجوز:الجو بارد جدا تعال معي الداخل دافئ قد تكون متعبا.

ديميتري:انا لست مسلما كيف ادخل.

العجوز:وهذا ليس بيتي إنه بيت الله ربي وربك ورب العالمين.

عندما قال كلمة ربي وربك ورب العالمين لقد خفت كثيراً انا في بيت الله تراجعت الى الخلف بخوف ،قد أبدو للجميع قويا لكني أخشى أن يمسك بي الرب بعد كل الأخطاء التي اقترفتها والمجازر التي شاركت فيها .

ركضت مسرعاً إلى السيارة الهث .

جوزيف: أين كنت ولما تلهث .

ديميتري:لا شيء فقط قد بسرعة علينا الوصول للسجن باكراً.

"سامحني أيها الرب لقد خشيت أن أكون تحت حضرتك في بيت من بيوتك لست مستعداً للقاء الرب وأنا مكبل بالخطايا"

وصلنا إلى السجن أخيراً الجميع يهابني حفيد الكسندر ليفيتش هنا لم يحتج الأمر كثيراً حتى قادوني إلى غرفة الزيارة أما جوزيف بقي خارجاً .

دقائق حتى وصل أصيل الي مكبلا مقيدا معصوب الأعين اجلسوه بالقوة على الكرسي وكانو واقفين فوق رأسه إلى أن طلبت منهم فتح عينيه وتركنا وحدنا .

ذهبوا وتركوني معه كان صامتا بارد الشعور لا يتحرك تعابيره ليست مفهومة ليس غاضباً ولا حزينا كأنه تمثال ارتبكت قليلاً كيف أبدأ معه الحديث .

ديميتري: مرحباً أصيل أنا ديميتري أريد أن أكلمك واعرض عليك بعض الأمور هل أنت موافق.

أصيل:لا يهم .

ديميتري:قبل أن أخبرك بشيء ،انا معجب بشخص يدعى أصيل الذي هرب من عصابتنا وقتل أحد منافسينا لذا لا تستحق البقاء هنا زعيمنا يريد تحريرك.

أصيل:هذا لا يهمني أنا ميت يا هذا .

ديميتري:اسمع إنها فرصتك يريد جدي بقوته أن يخرجك من هنا هذا لا يحدث كل يوم جدي عدو آرون تسيفو .

"أصيل"

ما إن سمعت هذا الإسم حتى اصبت بالجنون إن كان ما يقوله صحيحا فهذه فرصة العودة والانتقام من ماريا لكن لا يمكنني أن اثق به.

ديميتري:فكر جيدا نحن نريدك بيننا أنت تمتلك القوة والشجاعة رأينا كل شيء في اليوم الذي هربت فيه منا ومن مصادري أعلم أن تلك الفتاة خانتك وهي من كاد لك المكيدة إن أردت تقتلهم أو افعل ما تريد .

أصيل:سأفكر انا مشوش الذهن والحكم بالإعدام ينتظرني وليس لدي طاقة لاتخاذ اي قرار.

ديميتري:حسنا ،لكن أريد منك خدمة .

أصيل:هل تسخر مني ؟اي خدمة وانا لا أملك حتى نفسي .

ديميتري:كيف تفعل كل هذا ؟اي قوة تملك ،تضخي لأجل شخص آخر وتتحدى الموت وتهرب من كل الأخطار دون خوف ،أنا أخاف أن اخطو خطوة خارج نظام المافيا انا مقيد ساعدني .

أصيل: أنا اخاف أكثر مما تتصور لكن الخوف من الله يفوق الخوف من البشر ،انا هنا خائف لأنه لا يمكنني الصلاة لا أسمع الآذان ولا

يسمحون لي بالوضوء هذا هو الخوف الحقيقي أما الشجاعة والمواجهة هي أمور تافهة بالنسبة لي.

ديميتري:أحكي لي القصة كاملة قصتك وقصة الفتاة التي كانت معك يوم اختطافك والتي احمت بآرون وبسببها أنت هنا .

أصيل:حسنا

وقص عليهم القصة مختصرة ووضح له كل ما حدث.

"الحراس"

انتهى الوقت .

صعقت من إجابته حقا وزاد فضولي لمعرفته يجب أن اخرجه من هنا بأي ثمن .

حاول ألكسندر وديميتري تعيين المحامين له لكنهم فشلوا في هذا بسبب حساسية الموضوع خصوصا بعد تدخل المخابرات الجزائرية في الأمر وحكم عليه بالاعدام في انتظار تنفيذ الحكم .

"بعد سبع سنوات"

مريم:إنها أول مرة أركب طائرة في حياتي بقدر حماسي بقدر حزني الذي استمر سبع سنوات كاملة ،اصيل انقطعت أخباره عن الإعلام كانت مواساتي أن أعلم أنه حي .

هبطت الطائرة في موسكو وانطلقت الرياح الباردة تجوب حولي وشعور غريب يراودني الغربة مع الحنين لكن هو موجود في هذه البلاد وهذا

ما يهمني لا أعلم لكن شيء ما يقول لي سنلتقي ،ربما هذا جنون لكن الأمل في داخلي يحدثني يجب أن أصل لماريا المختفية لعلي أعثر منها عليه.

درست خمس سنوات وتخرجت وافتتحت مشروع ماركة أزياء للمحجبات ،وبعد وفاة والدة أصيل حزنا عليه لم يبقى في الجزائر شيء يتركني أعيش فيها ،اتيت للعمل وإيجاد أصيل .

اليوم لدي عرض في موسكو لعرض ماركتي إلى جانب مصممين من كل أنحاء العالم سيحضر مسؤولون وعارضو أزياء ومشاهير كرة سأكون حزينة جدا لأني أقدم إنجازا لا يراه من أحب لا أم تفتخر بي ولا أب يدعمني ولا صديق يشاركني لكنني سأقدم الأرباح لأطفال فلسطين وسأعلن عن ذلك في الحفل التكريمي .

سميت مجموعة تصميماتي بالوردة الحزينة ستدخل العارضات محجبات دون مكياج بوجوه حقيقية "الوردة الحزينة كحزني"كان لقاؤنا الأول بالورود ومازلت أحمل الورود وانتظر لعلي التقيه يوماً ما صدفة .

"أصيل"

تعودت على حياة السجن والجليد صار عاديا نسيت شعور البرد ونسيت الآيات التي كنت احفظها في البداية كنت أدعو كثيراً والآن لا أظن أنني رضيت بواقعي ،اصيل المنسي الذي لا يعلم أحد عنه شيئاً ،اشتقت إلى أمي أريد أن أراها ،ديميتري ذاك فشل في إخراجي كان أملي أظن أنه أخلف بوعوده ،يالي من أحمق كيف اثق به بعد أن خانتني الفتاة التي بعت عمري لأجلها سأتعفن هنا هذا مصيري .

"ديميتري"

أشعر بالذنب تجاه كل شيء الضحايا الذين نتاجر بهم والأشخاص الذين تقتلهم وأصيل الذي لم اساعده ،تغيرت مشاعري صرت اكثر حزنا وجدي لم يعجبه أنني لم أعد ارغب في القتل هددني مرارا وتكرارا أنه سيزرع الرقاقات داخلي ،لستحق هذا فأنا مازلت خائفا منه ومن الهرب لكني أريد أن أهرب أصيل من السجن لكن كيف ؟

ذهبت إلى جدي كان جالساً في مكتبه غاضباً إحدى العمليات فشلت .

ديميتري:جدي إنك بحاجة إلى رجال أمثال أصيل أشرف متى تفهم هذا وجوده سيمنحك القوة كل هؤلاء الشبان ضعفاء .

الكسندر:نعم أعلم هذا لكن كيف.

ديميتري:فلنخرجه من السجن بأي طريقة كانت تهريبه سيفيدنا لا تنسى أننا وعدنان.

الكسندر:وعدناه؟منذ متى تفي المافيا بوعودها ومنذ متى صرت تتكلم بطريقة أخلاقية.

ديميتري:لا أقصد أنه لو خرج يوماً ما سيحصل لنا مشكلة إن لم يكن تابعا لنا سيكون ضدنا .

الكسندر:حسنا سأخطط للأمر.

خرجت من هناك وانا افكر هل سيجعله جدي يهرب من السجن ،إن لم يفعل أنا سأفعل هو ليس مهتما به فبماله سيكسب الرجال لكنني أريد أصيل الى جانبي إنه يمنحني القوة والمواجهة للتغلب على المخاوف .

"إتصال هاتفي"

ديميتري: ألو جوزيف ماذا هناك؟

جوزيف:هل تسمي نفسك صديقي المفضل وأنت لا تلبي دعوتي إنها أول مرة انظم عرضاً تعال لتحضر وتدعمني وتنسى قليلاً القضايا التي تشوش عقلك .

ديميتري:صحيح كثرة التفكير انستني أمرك اعتذر أنا قادم .

يا إلهي يجب أن اتخفى أكره التجمعات والحفلات والبشر عموماً سيكون المكان مكتظا هذا صعب بالنسبة لي .

المكان مزدحم على آخره كبار الشخصيات وغيرهم وعارضات في كل مكان والنساء يقتربن مني إلى أن رأيت تلك الأفعى الشقراء التي هربت مع أصيل ذلك اليوم ثم قادته إلى المشنقة في يوم آخر ،لو لم يكن المكان مزدحما لقضيت عليها ولن يهمني العقاب ،صحيح أنني من عصابة لكن لا يمكنني أن اغدر حليفاً وأطعنه في ظهره لما فعلت ذلك لماذا كانت تعلم أن آرون لن يسلمها ويجازف بسمعته فهي تحمل اسم الأسرة ورغم ذلك ضحت بالفتى جميع من في عائلة تسيفو يفتخرون بها لفعلتها،لكنها مقرفة بالنسبة لي .

جوزيف: أتيت أخيراً صديقي أنا سعيد بوجودك .

ديميتري: سأذهب بسرعة المكان لم يعجبني والنساء يزعجنني .

جوزيف:هذا لأنك أوسم رجل هنا الجميع يتحدث عن الاشقر صاحب العيون الساحرة كما أن الوقت مناسب لتجد رفيقة .

ديميتري:إلا النساء لا تحدثني عنهن لا يأتي منهن سوى الغدر.

"كرهت النساء كثيرا فالدرس الذي خرجت به من قصة أصيل علمني الكثير لأجل المال والمكانة دفعته للمشنقة "

"مريم "

إنه دور عرضي أنا متوترة جدا الصحف والناس ماذا ستكون ردة الفعل على أزياء المحجبات انا خائفة جداً سيكون عرضاً جميلا لن يراه من أحب.

تخرج العارضات بأزياء وحجاب بعلامة تصميم جزائرية خالصة تحت التصفيقات وانبهار الجميع كان عرضاً مذهلاً تفوق على الجميع والآن كلمة الختام تقدمها المصممة.

"مريم من الجزائر"

"ديميتري"

كان العرض مملا انا أرتدي افخم الماركات لكني لا أهتم بالمظهر كثيراً ،الى أن خرجت عارضات محجبات بزي الاسلامي ابهرني هذا لم أرى عارضات بدون مكياج من قبل فعلاً صرنا نفتقد للوجوه الحقيقية الصافية ،انتهى عرضهن لم أهتم كثيراً إلى أن رأيتها.

كانت فتاة جميلة خجلة ومترددة أظنها أول مرة تحظر مناسبة كهذه ،لكنها بشجاعة تحمل العلم الفلسطيني دون اكتراث للصحافة ،القت كلمتها ودعت الجميع للتبرع لفلسطين والمنظمات الداعمة لهم كلماتها دقت مسمعي وأثرت في نفسي .

مريم :كيف نسمي نفسنا بشرا ونحن نرى ونسمع ما يحصل هناك دون اكتراث .

تحت غضب من يدعمون الجانب الآخر من الحرب ألقت كلمتها إلى أن سمعت أنها جزائرية ،يا إلهي إنها من تلك البلاد أيضاً ،ارى الجميع يرمقها بنظرات بعضهم معجب بموقفها وآخرون كأنهم على وشك قتلها ،لا أعلم لما لكني بقيت أنظر إليها كانت كلوحة فريدة لبيكاسو تلفت الأنظار بصمت دون فوضى ،انتهت الحفلة واقتربت منها تلك الأفعى الشقراء.

"ماريا"

كنت في تلك الحفلة استمتع بوقتي بعد أن أنهيت إحدى العمليات مع خالي آرون ،الى أن رأيت عارضات محجبات من الجزائر لم اتوقع ان يعجب الجميع بعرضهن ،الى أن صدمت حين رأيتها بعد مرور كل هذا الوقت إنها مريم الوضيعة كيف وصلت إلى هنا إنها تلقي كلمتها تحت انبهار الجميع كيف لتلك القبيحة أن تاخد الأضواء ولما أتت إلى هنا انتظرت نهاية الحفلة كي أذهب إليها .

مريم :ماريا ؟قالت وهي مصدومة.

ماريا :مابك كأنكي رأيتي شبحا ؟

مريم :تذهب إليها لتعانقها "اشتقت اليكي كثيراً أمك مرضت من شوقها اليكي رأيتي ماذا حصل لأصيل هل تعرفين في أي سجن هو خذيني إليه"

ماريا :ابتعدي عني .

ثم ضربتها وأوقعتها أرضا لتجد يدا قد امسكتها تحت نظرات الجميع المستغربة .

"ديميتري"

لم أتمالك نفسي حين رأيت تلك الأفعى تضرب الأخرى الباكية لا اله ما قالته لها لكن لن أسمح لها أن تضربها .

ماريا :ما شأنك أنت أيها الغبي أنت لا تعلم من أنا.

يقترب من أذنها بهمس.

"أعلم أنك ماكرة وناكرة للجميل وتستحقين السجن مع اصيل انا من مافيا ليفيتش اذهبي قبل أن ارسلكي لخالك جثة "

خافت الأخرى وذهبت فلحقتها مريم .

مريم :عودي ارجوكي أخبريني مكانه خديني إليه.

ماريا: اذهبي وإلا قضيت عليكي أيتها البلهاء.

"ديميتري"

كانت الفتاة المصممة تبكي والجميع ينظر إليها ،لم أعرف كيف اواسيها لم اتعامل مع هذه المواقف من قبل لكنها شكرتني بلطف وخرجت لا أعلم أين ،لكني خفت أن تتعرض لها الأفعى او تؤديها عصابة تسيفو ،من أين تعرف تلك الخبيثة وما علاقتها بها هذا محير؟

جوزيف :أنت هنا ديميتري كانو يكرمونني وانت لم ترى اي شيء لما وجهك أحمر.

ديميتري:أحمر ؟ابتعد عني لدي عمل .

وخرجت مسرعاً لألحق بالفتاة المحجبة الغريبة كانت تركب سيارة أجرة ففعلت المثل توقفت في فندق قريب ودخلت استدعيت رجالي ليأمنو المكان خشيت أن يصل إليها أحد يد تلك الفتاة الخبيثة ماكرة ،لكني لا أعلم لما فعلت هذا انا لا اعرفها مطلقاً .

تلقيت اتصالا من جدي لهذا ذهبت مسرعاً إليه كنت اود ان أبقى لا أعلم أردت رؤية الفتاة من جديد .

ألكسندر:لك ما طلبته لقدر استأجرت حارساً في السجن يسيؤمن للفتى طريقة الهرب وأنت ستكون في انتظاره في المكان الذي يحدده الحارس هذا هو رقمه كن حذراً أريد عملا نظيفاً رغبة الفتى في الانتقام ستقودنا للقضاء على آرون تسيفو.

ديميتري:حسنا سأنطلق للدلفين الأسود إذا أنا متحمس.

"أصيل"

كنت أغط في نوم عميق في منامي رأيت أمي ومريم أردت أن أتبع أمي التي كانت تسير في مكان موحش لكن مريم منعتني وفجأة اختفت أمي استيقظت فزعا كان حلما مزعجاً بل كابوس ،استغفرت الله لأجد أحد الحراس في الزنزانة واقفاً ينظر إلي .

منذ أن حكم علي نهائيا بالإعدام واقترب الموعد وانا أرى الكوابيس كوابيس لعينة تطاردني الأسبوع القادم سأعدم لا أعلم شنقاً ام ماذا سمعت من السجناء أن بعضهم مات بالسم ،المحكوم عليه بالاعدام يتشوق لمعرفة الموعد لأن الانتظار مرعب أكثر من الموت نفسه .

الحارس:السجين 101 سيتم تغيير زنزانتك .

أصيل:لماذا ؟

الحارس:لا تسأل كثيراً هذه هي الأوامر.

أصيل: ودعت رفيق الزنزانة فقد صار عائلتي الوحيدة ورافقت الحارس الذي همس في أدني.

الحارس: أبلغك تحية الكسندر ليفيتش موعد انتقامك قد اقترب.

أصيل:ما هذا الذي يقوله ؟

وصلت إلى زنزانة أخرى أضيق في مكان منعزل لكن بها نور أظن أنها قريبة من الخارج وهناك كان سجين ضخم استغربت أنه غير مقيد ولا يوجد حراس هنا ،كيف هذا لما لا يعصبون عيني لابد أن ل ألكسندر ليفيتش ذاك علاقة ما ،جلست وألقى علي السجين التحية وخاطبني .

"عندما أعطيك إشارة تنتهي مناوبة الحراس سيكون لدينا دقيقة واحدة لتجاوز الأنظار دقيقة واحدة يا فتى أتفهم مالذي اقوله سيلهيهم الحارس الذي احضرك ليعطينا بعض الوقت لا تسأل نفذ فقط ديميتري ليفيتش يحييك طريق الحرية أمامك خذ هذاجهاز Gpsكي يحدد السيد ديميتري موقعك"

دق قلبي وارتفع الادرينالين أخيرا سأعود إلى الحياة وانتقم سأديقهم مرارة العيش ،سأعذبهم سأجعل الموت اجمل أحلامهم ،ماريا انتظريني أنا كالموت المحتم قادم اليكي لن يشفى غليلي حتى ارسلك لجهنم مع ذلك الطاغية .

انتهت مناوبة دفعة من الحراس أشار لي ذلك الرجل وألقى الحارس مفتاح الزنزانة ،تسمرت في مكاني الباب مفتوح وأنا عاجز على

الحراك حتى صرخ علي الرجل"أيها الغبي هيا أسرع ليس أمامنا وقت "

ركضنا بأقصى سرعة لدينا أمامنا الحارس إلى أن وصلنا للباب الخلفي بينما الحارس ذهب لقطع التيار الكهربائي عن السجن فعمت الفوضى بين الحراس الذين تشتتو ،هذا هو الوقت المناسب أمامنا جدار عال به أسلاك كهربائية لكن لحسن الحظ قطع الكهرباء ومن الجيد أنني اجيد التسلق ،لكن الأسلاك كانت شديدة الخطورة خدشت كل أجزاء جسدي ورغم ذلك لم أهتم تسلقنا الجدار الأول وهاهو الثاني الأكثر ضخامة الظلام دامس ولا أرى شيء وما إن وصلنا إلى أأشواك عادت الكهرباء وعاد التيار لمسته بمؤخرة الحذاء لحسن الحظ لم يصبني لكن انطلقفت أصوات الانذار ،يا إلهي هل كشف أمرنا سقطت على الثلج لكن الرجل الذي كان معي قد علق حين عاد التيار ومات من فوره انقذتني سرعتي وخفتي ،مالعمل أنا لا أعرف المكان هل كشف أمري لا أسمع سوى الصفير وكلاب الحراسة الذي حماني الله منهم كان المكان محاطا ببركة جليد ضخمة انزلقت تبا للحظ فجأة فتح الباب الخارجي ودون أن أفكر غطست في المياه الجليدية بعد أن أخذت نفسا عميقا ،امامي ثلاث دقائق فقط للبقاء تحت الماء من الجيد أنني اجيد السباحة لكني سأموت كطعة ثلج داخل شراب ،أخذت أسبح طويلاً وانا لا أحس بشيء إن تم الإمساك بي قصي علي لم أرد الموت قبل أن انتقم كانت البحيرة قريبة من بحيرة اكبر مضت دقيقتان أكاد اختنق أخرجت رأسي قليلاً كي أرى مالذي يحدث في المكان لمحت غابة قريبة أخذت نفسا عميقا واعدت الغطس والسباحة انا اتجمد أنهكت قواي ،بدات الحجارة الجليدية تزيد سمكاً كلما اقتربت من اليابسة وعندما وصلت لم أشعر بشيء أغمضت عيناي وأحسست أن قلبي يتوقف لم أرى شيئا سوى سيارة متوقفة من بعيد وغططت في نوم عميق.

"ديميتري"

كنت أشعر بالهلع لا أعلم مالذي يجري هناك هل تمكن من الهرب أم لا إلى أتتني إشارة الجهاز لابد أن الخطة نجحت جهاز التعقب يعمل ويتحرك كنت في الغابة المحيطة بالبحيرات حول السجن ،مضت دقائق وإشارة جهاز التعقب لا تتحرك كثيراً هل أمسك به أم ماذا ؟ قدت السيارة بسرعة إلى حيث المكان وهناك رأيته ممدا على الأرض هل مات أم مالذي يحدث بحق السماء ،ركضت إليه كان متجمدا يتنفس بصعوبة كبيرة هل اجتاز كل هذه المسافة سباحة ؟ وهل أتوقع من أصيل أن يفعل شيئاً عاديا وهو من تعشقه البطولات وتطارده العظمة حملته بسرعة إلى السيارة كان فاقداً للوعي شغلت التدفئة وانطلقت بعيداً .

"أصيل"

استيقظت في مكان لا أعلم كيف وصلت إليه كان كوخا لكنه فخم جدا كنت مغطى والجو دافئ أخيرا بعد سبع سنوات وأنا داخل ثلاجة متجمدة أحس بحو لطيف ،كان أمامي تلفاز مشغل على الأخبار رأيت صورتي وخبر هروبي ،يا له من مأزق لكن أين أنا ،ما هي إلا لحظات حتى دخل شاب نظرت إليه فوجدت أنه ديميتري.

ديميتري: استيقظت أخيرا كيف تحس هل أنت بخير.

أصيل:بخير أين أنا ؟

ديميتري: أنت في مكاني السري لا أحد يعلم بأمر هذا المكان سواي حتى جدي لن يعثر علينا استرح سأحضر الطعام لا تخف من شيء أنا أيضا لا اقهر ولن يجدك أحد أجيد التخفي واخفاء الجثث وتغيير الهويات.

أصيل:ظننت أن جدك يريدني .

ديميتري :نعم لكنني لم أرد أن آخذك إليه قبل أن أتأكد من سلامتك .

أصيل:لا وقت لدي أريد الذهاب إليه بسرعة واتحالف معه لأحقق انتقامي .

ديميتري:الجو عاصف جدا لن نستطيع التحرك وقوات الأمن في كل الطرق نحتاج بعض الوقت لكن لا تقلق سيكون ما تريد .

"أصيل"

كان هذا الشاب الذي ينتمي للمافيا لطيفاً معي لكني لم أهتم كثيراً فحتى مربي الدجاج يطعم دجاجاته جيداً ثم يدبحها ،كل ما يهمني أن أكون إلى جانب قوة ما تحقق لي انتقامي ،لا أريد العيش أريد أن أحاسبها على كل شيء .

"ديميتري"

اعتنيت به جيداً ثم قررت أن أعرض عليه خطتي لكن ترددت فهو ليس في وضع يسمح له بالتفكير لكن علي أن اجرب.

ديميتري: أصيل كما تعلم نحن مافيا خطيرة جدا وذات نفوذ وسلطة في البلاد نخطف البشر ونتاجر بهم وقد كنت في يوم ما بين أيدينا لكنك الوحيد من هرب حتى أنا لا أتجرأ على فعلها ،جدي يريد أن يزرع فيك رقاقة إعادة برمجة لعقلك تعطيك القوة لتهزم كل شيء ستصبح مثل آلة قاهرة لا يوقفها أي شيء آخر .

أصيل:هذا رائع ياليتني لم أهرب في ذلك اليوم وكنت بين يديه الآن لا يوقفني شيء.

ديميتري: أصيل أنا أريد أن آخذك من هنا ونهرب إلى الجزائر ونعيش في سلام أريد أن أحس مثلك بقوة وشجاعة وأن أضحي لأجل العدل والسلام فهل تقبل جدي خطير جداً ولن تنجو إما أن تموت في تجربة أو في عملية ما .

أصيل:لم تعد المبادئ والأخلاق تعنيني ،انا معجب بجدك وقوته ،السلام وغيره لا أريده ضحيت كثيرا في الماضي ولم اجني شيئا كما تعلم أريد القوة أما الموت فأنا محكوم بالاعدام على كل حال.

ديميتري:لست أنت أصيل الذي عرفته قبل سبع سنوات ألم تخبرني أن القوة لله وأنك لا تخاف سواه فكيف تذهب في طريق أخرى وتغير مبادئ كبرت عليها.

أصيل: الله لا يحبني ولا يريدني سأدخل جهنم لأني قاتل وخضعت لإمرأة قادتني للهلاك ،لو كان الله يحبني لما انساني الدعاء والقرآن ،انا لم أقرأ اي شيء لمدة طويلة الله عاقبني لذا أنا لا أستحق أن أكون من عباده .

ديميتري:اخترت جدي إذا ،لن يكون مصيرك أحسن ستكون مجرد عبد لديه ،كلماتك عن الله ألهمتني فمالي أرى ضميرك مات بعد أن استيقظ ضميري بسببك لماذا ؟

ديميتري واصيل

الظلام والنور

الذئب الأبيض الروسي والجبلي الجزائري

يأخذنا هذا الصراع إلى فكرة أن الإنسان يولد خيراً بصفات ملائكية لكن هذا الملاك سرعان ما يصبح صانعا للشر وفق معادلة تنتهي دوما

بالصفر الذي يقرره الإنسان فأصل بني آدم كان دوماً الفضيلة والنبل لكن حالة الطوارئ القصوى التي تقتضي أن الخير لن يعيش وحيداً جعلت من قابيل وهابيل يتقاتلان حينها أدركت الخليقة أن هناك قوة أخرى تتجسد في الشر لنجد أنفسنا نحل إشكالية هل الخير مطلق أم نسبي أم أن الشر مسيطر ؟

وكحال قبيل وهابيل يجد ديميتري بقلبه الأسود بدرة الخير تنمو ويجد أصيل أن الشر يحفر ليزرع السوء في نفسه في مشهد يلخص لنا صراع رقعة شطرنج باحجارها البيضاء والسوداء.

فتى المافيا يتحدث عن السلم والأمن وحب الخير للبشر ،وصبي كالملاك يسعى للإنتقام بأي وسيلة .

مضى يومان وانتهت العاصفة ولم يعثر أحد على المحكوم الذي هرب من السجن .

ديميتري:لم تغير رأيك تريد أن تكون بين أيدي جدي؟

أصيل:نعم هذا ما أريد بالضبط .

ديميتري:حسنا سنغادر إلى موسكو هذه هوية مزيفة وهذا شعر مستعار قلبي يتحطم لأجلك كنا سنجد طريقا أفضل لكنك لا تريد دعم ما قلته لك سرا بيننا .

انطلقنا إلى موسكو وقبل لقاء جدي هناك أردت تناول الطعام في مطعم ما وافق أصيل فخرجنا من السيارة وطلبت من صاحب المطعم بعد أن دفعت له كثيراً ليخرج باقي الزبائن وبقينا نحن فقط .

كان هناك جهاز ميكروفون لأن المغني كان هناك فجأة اقترب أصيل وامسكه وبدأ يغني لم أفهم شيئا طلب من العازف تشغيل موسيقى الراي وراح يغني بحزن .

"كون جا قلبك كيما قلبي تبغيني كيما نبغيك يالي راكي مني تهربي روحي الله يصلح عليك تيرا رارا تيرارا .

معنديش فالحب زهر لي نبغيها تكوي قلبي حتى نوالفها وتنوي لغدر شوف لحالي سيدي ربي شوف لحالي سيدي ربي"

تركته يفرغ ما في داخله وخرجت استنشق بعض الهواء ،لأجد العاصفة السمراء تقترب يا إلهي لقد توترت شعور ما راودني لم أشعر به من قبل .

"مريم"

كنت أتجول في المدينة تائهة افكر في الأخبار التي سمعتها عن قرار أصيل من الجيد أنني لم أغادر روسيا بعد هل هو القدر الذي يريد جمعنا ؟

إلى أن سمعت موسيقى الراي استغربت كثيراً إنها تصدر من هذا المطعم هناك اقتربت من الصوت فرأيت الرجل النبيل الذي ساعدني يوم العرض عندما هاجمتني مريم .

فرحت برؤيته وذهبت لأشكره مجدداً.

مريم : مرحباً لا أظن أنك تتذكرني أنا التي قدمت العرض وقد دافعت عني شكراً مجدداً.

ديميتري:في نفسه"يا إلهي يجب أن أتكلم لكني فاشل في الحديث للنساء "عفواً .

يا لي من أحمق لم أعرف ما أرد ستظن أنني غبي .

مريم:أسمع موسيقى هنا صحيح أنني لم أكن احبها لكن اعادتني لأجواء بلادي.

ديميتري:إنها حزينة لم أفهمها.

مريم :تتكلم عن غدر الحب ،هل يمكن أن ندخل إلى الداخل قد يكون المغني جزائري.

ديميتري:في نفسه :ورطة لقد طلبت من الجميع المغادرة لكن لا أجرؤ على اخبارها هي .

مريم:يجب أن تدخل أظن أن الحمى إصابتك وجهك أحمر .

ديميتري:اا انا.

مريم:لقد دكرتني بطفولتي كنت قليلة الكلام مثلك لكن اكتسبت الشجاعة من صديقي المفضل لكنه غادر ولم أعثر عليه .

أنهت جملتها بحزن تحت نظرات الآخر الذي لا يجيد المواساة والتعامل مع النساء .

دخلت مريم إلى المطعم تستمع إلى الأغنية بحزن شديد لتنصدم لأنها عرفت من يغني كان متنكرا حزينا بلحية كثيفة وملامح غيرها الزمن لم ترد نطق اسمه خوفا لأن هذا خطير فهو هارب اما هو فقد استمر في الغناء .

اصيل:يغني :طال غيابك يا غزالي راكي جولتي فالغربة

سيدتي الحقد أدلالي وعليا وعلاش دالغضبة .

لترد الفتاة دون تفكير وتكمل معه الأغنية تحت صدمته .

مريم:مزال كاين ليسبوار وعلاش قاع نقطعو لياس

ني جامي طروطار مزال نبغيك يا ولد الناس .

كان مشهداً دراماتيكيا جعل ديميتري يراقب بإندهاش لاشك أن أصلهما واحد لذا غنيا معا ،لكن انصدم حين اقتربا من بعض وبدأت الفتاة بالبكاء والآخر مصدوم ثم بدأ الحوار بينهما باللهجة الجزائرية التي لم يفهم منها شيئاً.

أصيل: أهو كابوس أم أنني اراكي أمامي.

مريم:لقد عرفتك من عيونك رغم كل هذا إنه أنت نحن لا نحلم .

أصيل:لا أعرف ما أقول لما أنتي هنا أين أمي لم تتغيري ما زال وجهك بريء وملامحك جميلة أندري إلي صرت عجوزاً (ثم ضحك .)

مريم:بحزن شديد"أمك رحلت حزنا عليك انا آسفة "

انهار مصدوما بصرخة كادت تمزق حلقاته

"أمي "

ديميتري:تمتلك نفسك مالذي قلته له يا آنسة ؟

مريم:أنا آسفة أخبرته عن وفاة والدته .

أصيل:انا السبب رحلت بسببي أنا السبب سأقضي عليهم ثأرا لها .

حمله ديميتري للسيارة كي لا يثير الشبهات فتبعته مريم .

"إلى أين تأخذه إنه صديقي أريد أن أكلمه "

ديميتري:إذهبي الآن يجب أن آخذه من هنا الوضع خطير .

مريم:لكن كيف سأجده ؟لا أريد الذهاب.

ديميتري:خذي هذا عنوان بيتي لا تعطيه لأحد وهذا رقمي سنتواصل الآن يجب أن نغادر.

"ديميتري"

خبر وفاة أمه وقع عليه كالصاعقة لقد انهار وانهارت معه الفتاة كانت حزينة لكن كان يجب أن نغادر نظرت إليها آخر نظرة اشفقت عليها كثيراً لكن ما باليد حيلة اعطيتها عنوان منزل اختبيء فيه عادة ورقمي أعلم أنها لن تتوقف عن البحث عنه .

وصلنا إلى حيث كان جدي لقد فرح كثيراً لرؤية أصيل استقبله جميع أفراد العصابة كبطل كان أسطورة بالنسبة لهم قاتل اقوى الوزراء بيننا .

أصيل:سيد ليفيتش عليك أن تسرع في زرع الرقاقات أريد أن اقضي عليهم لقد ماتت أمي بسببي يجب أن أثأر.

ألكسندر:لا تقلق لقد اقترب موعدهم هناك شحنة من الروبوتات تصدر قريباً لقد كشفنا مخبأهم وسنقتحمه ونقتل الجميع بعد أن نأخذ المخترعين إلى صفنا لا تقلق مطلقاً أنت جهز نفسك بعد أيام تكون شخصاً جديداً .

"ديميتري"

لقد وقع أصيل في فخ الانتقام سيصبح مدينا لجدي وسيسحقه إن لم يطعه أو يخطيء في شيء ما لو استمع الي لكنا في مكان مجهول لا يعرفنا فيه أحد وبدأنا بداية جديدة لكنه لم يستمع إلي .

زاد توتري لقد ضاع عمري أردت شخصاً اتعاون معه على الهرب يمنحني القوة والمواجهة للتغلب على المخاوف لكن أصيل خذلني ،على كل هذه حياته وهو حر .

ماذا أفعل هل ستظل حياتي هكذا مجرد قاتل كآلة كعبد للسلاح والمال ،أريد أن اكلم شخصاً .

فتذكرت المختصة النفسية لم اجد أي حل فصدري قد ضاق ولم يعد يتسع لكل هذه الآلام والمعاناة والصراع داخلي شخصان أحدهما طيب والآخر سفاح يريدان قتلي .

ها أنا ذا عند المختصة النفسية دخلت لكنها لم تقل شيئا فقط أشارت لي بالجلوس .

ديميتري: دعيني أتحدث إبقي صامتة ولا تقولي شيئا أعلم أن الاخصائي النفسي يؤدي قسما وأعلم أن أخلاقيات المهنة تمنع صاحبها من الإفصاح عن الاسرار التي يقدمها له المرضى.

أنا يا سيدتي لست مريضاً بل استطيع ان أشخص حالتي جيداً واعرفهاولدي الحلول لكن لا اطبقها ،انا من عائلة مافيا خطيرة جدي قتل والدي أمامي وأمي انتحرت ،ترعرعت بين السفاحين والقتلة المتسلسلين ،فطمت على الدماء والجثث نمت دوماً على رؤية الكوابيس ،لم يكن لدي أي اصدقاء ففي عالم المافيا حتى يدك يمك أن تغدر بك عشت وحيدا وانا بين ألف رجل وفقيرا وانا أملك كل شيء ،اريد الهرب ولا أعلم أين ،اعلم أنكي تدونين ما أقول وتبحثين عن حل لكن أنا أملك الحل وافتقر للجرأة والمواجهة فمن قتل ابنه قد يقتل حفيده بكل سهولة ،لكن أنا أمام خيارين إما الموت كما أريد أو العيش كما يريدون وعلي

أن أختار ،لا تخافي مني سأرحل بصمت لا تتكلمي ابقي صامتة فالحديث أفادني ولا أريد سماع كلمة ،شكرا لك .

ورحلت وبقيت هي تنظر إلي وتدون بكل برود إنها رائعة تنصت جيداً وأشعر بالحرية عندها.

زاد ضياعي وحزني واختنقت حتى وصلت بي قدماي إلى حانة دخلت وشربت كثيراً حتى ثملت علني أنسى قليلاً وحين خرجت توجهت لمنزلي ولم أقوى على حمل نفسي وفتح الباب وسقطت ،فرأيت القديسة مريم العذراء تنظر إلي من بعيد .

"مريم "

اتصلت بالرجل الروسي الذي أخد أصيل معه ولم يرد علي ،فتوجهت لمنزله وجلست أنتظر في البرد لعلني أرى أصيل هنا لكن الباب مغلق ولا أحد في البيت حتى رأيت ذلك الرجل يمشي ويتمايل أظنه شرب كثيراً ،لقد خفت منه حتى رأيته يسقط .

"ديميتري"

سانتا ماريا ؟

هذه أنتي ؟

هل أنت مبعوثة من الرب كي يعاقبني على خطاياي وآثامي وذنوبي .

خذيني إليه الرب وحده سيحميني وينجيني من هذا الجحيم الذي اعانيه .

مريم :استيقظ يا رجل ستموت في الثلج .

وحاولت رفعه لكنه كان ثقيلاً .

"سانتا ماريا هل ستأخذينني من هذه الحياة خذيني أنتي أملي"

مريم :هل معك المفتاح .

ديميتري: أي مفتاح يا أمنا ألستي هنا لاخذي للجحيم ؟

مريم:استغفر الله .

فتحت الباب وادخلته إلى الداخل وضعته على أريكة كانت هناك وبحثت على مكان المطبخ لأعثر على شيء يجعله يستيقظ تذكرت كلام والدة أصيل عندما كان والده يشرب ويدخل سكرانا إلى البيت .

ألقيت على وجهه الماء فاستيقظ فزعا ثم جعلته يشرب كوبا من الحليب لعل عقله يرجع إليه ويخبرني عن مكان أصيل .

"ديميتري"

إنه أكثر موقف محرج أتعرض له في حياتي رمت علي كوب الماء وهنا بدأت باسترجاع وعيي قليلا إنها هي العاصفة السمراء الجميلة فتاة العرض ،رأتني في حال يرثى لها أشعر بالخجل الشديد ،رأتني من قبل رجلا نبيلا مهابا والآن سكيرا مثيرا للشفقة لا أعلم مالذي قلته وانا في حالة سكر اتمنى أن لا أكون قد فعلت شيئا خاطئا .

مريم :هل أنت بخير.

ديميتري: رأسي يؤلمني أشعر بالدوار .

مريم :كنت تبدو في حالة غريبة وتقول اشياء حزينة هل أنت حزين آسفة للمجيء في هذا الوقت أردت رؤية أصيل هل هو في أمان هل سيكون بخير لم تجده الشرطة.

ديميتري: في نفسه"كانت قلقة عليه جدا شعرت بالغيرة لم يقلق علي أحد من قبل صحيح أنني رجل قوي لكن أن يهتم بك أحد ما سيكون ذلك مذهلاً "

سيكون بخير لا تقلقي نحن نحميه .

مريم : أين هو الآن لدي شيء أريد أخباره به .

ديميتري:ماهو ؟اخبريني وحين أذهب إليه سأخبره.

مريم: أشعر بالخجل ،أنا أريد أن أخبره أنني احبه ،مضى ومن طويل وهو لا يعلم أريد أن أخبره قد تفرقنا الايام مجدداً لا أريد أن أكون جبانة أريده أن يعلم .

ديميتري:في نفسه"لا أعلم لماذا لكن حين قالت أنها تحبه شعرت بالغيرة هل أنا معجب بهذه الفتاة "

سأخبركي شيئا يا آنسة،اخبريه ولا تترددي لا تكوني جبانة حين تعجب بشخص أخبره يجب أن تمتلكي الشجاعة لا تكوني مثلي ستندمين .

مريم:هل أنت معجب بشخص ولم تخبره.

ديميتري:بخجل :هناك أمور لم أكن شجاعاً فيها فدفعت ثمنا ولم اعش كما أريد.

مريم: حسنا رغم أنك لست مسلماً وسكران قليلاً لكنك تقول الحكم الجميلة.

ديميتري: الاسلام ،طالما كنت فضولية حول الإسلام هل تحدثينني عنه ؟

مريم :حسنا .

طال الحديث طويلاً تلك الليلة حول الإسلام ومقارنة الأديان وغيرها وفي اليوم التالي رافق ديميتري مريم لرؤية أصيل فقد وعدها أن يجده كي تعترف له .

أصيل:مريم مالذي تفعلينه هنا بين الرجال اذهبي.

مريم : هكذا تستقبلني؟اريد اخبارك بأمر.

أصيل:ماهو؟

مريم :بخجل: أصيل أنا طالما أحببتك منذ زمن ولم أستطع اخبارك .

عم الصمت طويلا وديميتري يراقب من بعيد "حتى هي أشجع مني أنا الوحيد الجبان في هذه القصة"

أصيل:ماذا تقولين ؟مريم أنا هارب من السجن محكوم عليه بالاعدام يتشوق للإنتقام من التي أحبهاو غدرت به لا وقت لدي لهذه المشاعر. أنتي كأخت لي لا يمكن أن اراكي بصفة أخرى انا لا أقبل مشاعرك إذهبي من هنا عيشي حياتك وانسي أصيل اعتبريني ميتا .

مريم:لا مستحيل لن أتركك سابقى معك .

لم يكترث لها ولدموعها وغادر مع رجال الكسندر ليخططو للمهمة القادمة .

أما هي سقطت على الأرض تبكي .

أصيل:لا وقت لدي لدموع النساء دموع الأفاعي لدي مهمة .

ثم نظر إليها نظرة أخيرة متألمة

"أنا آسف أحبني الشخص الصحيح في الوقت الخطأ وأحببت الشخص الخطأ عندما كان الوقت صحيحا هذا هو قدري"

"ديميتري"

أظن أن أصيل لم يكترث لكلامها أو لم يكن مستعدا له جعلها تبكي رؤية دموعها آلمني ،هذه الفتاة كالملاك تماما ولا تستحق ما فعله ،انطلقت كي اواسيها فسقطت على كتفي تبكي بكاء اليتيم على قبر أمه ،لم أمانع رغم اني لا اجيد التعامل مع الناس تركتها تأخذ راحتها في البكاء الهستيري الذي سيخرج الألم من قلبها ،وتمنيت لو استطيع البكاء أيضا لعلي أشفي جراحي مثلها .

لأول مرة أساعد شخصاً دون أن تكون لي مصلحة .

"أصيل"

توجهت إلى الكسندر كان في مختبر سري مع علماء ومختصين لا يهمني أمرهم أردت فقط أن أحصل على القوة والقدرة لانتقم علمت أن ماريا صارت مقربة من آخرون تنفذ له العمليات لكن أصابهم الضعف مؤخراً ويجب أن نستغل هذا لم يعد لهم حلفاء ولم يتبقى أمامهم فرصة سوى بيع ما يمتلكونه من أسلحة وضع الزعيم الكسندر جاسوساً بينهم ،الوقت يمضي رجال المباحث الجنائية يبحثون عني لدي فقط هذه الفرصة .

الكسندر: أنت جاهز .

أصيل: أكثر من أي وقت مضى.

الكسندر:قيدوه هناك وقومو بالعمل .

وضعوه في داخل حجرة مكبل ومقيد بدون شعور لا يشغل تفكيره أي شيء آخر سوى العودة والانتقام .

"لن يهمني الألم تجاوزت كل شيء بقوة وليس لدي ما أخسره ،عدت من الجليد حيا لا شيء يقهرني"

داخل مختبر يتلقى صعقات كهرباء تؤلم جسده لكنه لا يكترث لأنه مات في اليوم الذي قرر فيه اتباع قلبه.

يضعون في جسده رقاقات خاصة والآن سيتحول إلى آلة قتل قاهرة .

الكسندر:هذا رائع لم يتأثر.

الطبيب:جسده قوي وروحه أيضاً إنه يمتلك قدرة على التحمل صار جاهزا سرعته كالفهد ،وذكاؤه كالثعلب حتى الرصاص لن يتحاوزه سيتنبأ بالطلقات قبل انطلاقها.

الفصل الأخير:

"أنت القصة التي لا أريد لها نهاية"

"مريم"

ظننت أنه سيأخذ بعض الحظ من إسمه ويعود لأصله لكن أصيل اتبع طريقا آخر صدمت حين سمعت القصة كاملة من ديميتري ،حزنت جداً أي ألم قاساه أنا أفهمه جيداً واعذره لكن الانتقام لا يوصل لشيء.

"ديميتري"

أشعر بشيء ما تجاه تلك الفتاة وبشيء آخر تجاه دينها ،أخبرتها بقصتي وقصة أصيل ومأساته لكنها تقبلت الأمر ولم تحكم علي وعاملتني جيداً ،معرفتها زادتني رغبة في الرحيل والهرب بعيداً وأنه يوجد أمل حين تحاول ونور إن اتبعت قلبك ،حديثها عن رب العالمين الذي لا يضر مع اسمه شيء يعطيني القوة ،لم أذهب هذه المرة إلى المختصة النفسية لم أعد أحتاج هذا منذ عرفت مريم ،لكني ذاهب إلى مكان آخر إلى الشيخ الذي قابلته قبل سنوات في المسجد يوم ذهبت لأصيل في السجن .

ديميتري:شيخي الفاضل أريد أن أكون مسلماً لكني لا أعرف كيف وأنا خائف هناك خطر يحدق بي فكيف أنجو .

الشيخ:النجاة أن تسير في طريق الله يا بني كيف تخاف ورب العالمين يحرسك لو أراد أن يصيبك شيء لفعل وإن لم يرد لن يضرك شيء .

ديميتري:كيف أستشعر عظمته وقوته كيف امحي الذنوب والمعاصي والآثام كيف يسامحني من آذيتهم .

الشيخ:انطق الشهادة واستغفر الله العظيم رب العرش العظيم وتمضي في طريق الدين واعمل خيراً يعوضك عما فعلت والله غفور رحيم يغفر الذنوب لمن يشاء .

أشعر أني حي أخيرا أن هناك من يحبني الله يحبني لو لم يحبني لما ذلني إليه لما بعث لي من يعرفني الطريق أشعر بسعادة غامرة ولم أعد أخاف حتى لو قتلني جدي سأموت على الحق ،لن أبين له إني سأهرب بل سأغتنم الفرصة وأستغلها جيداً حين يكون منشغلا بمهمته.

لدي خطة احاول جعلها محكمة إن لم يعد اصيل لرشده ساعيده بالقوة انا الآن مسلم وهو أخي في الدين .

ولاني عالم بخبايا ابتكارات جدي ورقاقاته تعلمت جيدا كيف اوقفها وحان وقت التنفيذ فقط جهزت اوراقا وهويات مزورة لي ولأصيل وبقية الامور سيحلها المال استأجرت رجلا ليجعل عبورنا في المطار سهلا ولا يكشف امرنا وحتى لو كشف سنكون قد فعلنا ما علينا .

"أصيل"

إنه يوم تنفيذ العملية أنا متحمس جدا اليوم سأقضي عليها وعلى كل من معها لا شيء سيوقفني ،ارتديت أنا والرجال ملابس تخفي وانطلقنا إلى أن وصلنا إلى المكان المحدد كان مليء بالحراسة والرجال مالعمل ،قررت أن تتريث إلى أن يأتي الزعيم الكسندر وديميتري وما علينا فقط سوى المراقبة ،وماهي إلا لحظات حتى رأيتها تدخل مع آرون المستودع ،بدأ قلبي يخفق بشدة ،لم أرها منذ ذلك اليوم الذي غدرت بي فيه ،لكنها ازدادت جمالا وإثارة ،يا إلهي أتيت لقتلها وليس لتأملها تذكرت كل ما فعلته فزاد غضبي ،انا الآن في صراع جزء مشتاق

وجزءيريد الانتقام لكن تغلب الجزء الأخير لن أتبع القلب الذي ورطني حتى لو قضي علي.

أصيل:إلزمو اماكنكم يا رجال سيأتي ألكسندر قريبا .

"ديميتري"

قبل الذهاب للمهمة جهزت كل شيء وذهبت لمريم أريدها أن تذهب معنا ،سرقت بعض الذهب والجواهر لم يعلم جدي بمخططي ولم يشك في أمري لأني كنت اتصرف بطريقة طبيعية جداً ،لكني جهزت الحاسوب على رقاقة أصيل وحملته كي اتحكم به إن نجحت خطتي في إنقاذه .

ديميتري:الو مريم أريد أن نلتقي لدي ما أخبرك به .

مريم :مالأمر؟

ديميتري:ستعرفين حين تأتين.

جاءت كالعادة والحياء والخجل يعتلي وجهها بقيت أتأمل كالأحمق ونسيت لما أتيت.

مرحباً.

مرحباً.

ديميتري: أريد أن اخبركي أنني أريد الهرب من البلاد وأن آخذ أصيل معي إن اردتي العودة إلى الجزائر فاذهبي وجهزي كل شيء للسفر سأكون في هذا المكان أقوم بالمهمة الأخيرة كي لا يشك جدي أخبرتك

عنه وعن خطورته كوني قريبة مني هناك سأترك لكي مفتاح سيارتي انتظريني فيها سأنفذ العملية وإن كنت محظوظاً سيكون أصيل معي .

مريم:ما كل هذا الذي تقوله أنت تخيفني هل ستكونان بخير؟

ديميتري:تؤمنين بالله؟ العلم لله لكن دعاؤك سيكون لي أملا أعدك سأنقذه .

مريم: سأنتظر قدومك إن لم تأتي لن أغادر إلى أي مكان من دونك عدني ستأتي فقدت صديقا ولا أريد فقدان الآخر .

ديميتري:سأحاول سأحاول افعلي ما طلبته .

غادرت وتركت قلبي عندها أنا واثق الآن أنني أحبها فعلاً ،بل أحببتها من النظرة الأولى وأمثالها لا يمنحونك فرصة للتفكير إما أن تعشقهم أو لا تلتقيهم من الأساس.

التقيت جدي كان غاضباً من تأخري بقيت انظر إليه مهما يكن لن تكره من رباك لا استطيع أن أكرهه ،توجهنا للمكان حيث أصيل والبقية وبكل قوة اقتحمنا المكان واطلقنا الرصاص بشجاعة ،كان أصيل كسلاح كلاشينكوف غير منتهي الذخيرة ،كان كسيارة بورش لا يمكن إيقافها ،حتى أنا خفت منه ،كان المكان مليء بصناديق قنابل ومتفجرات ومعدات أسلحة وروبوتات داتية التشغيل والتحكم ،تفاجأ آخرون من عددنا وقوتنا مقارنة بهم هم مجرد حشرات نستطيع سحقها بسهولة .

آرون:ماريا مالذي يجري ألم أطلب منكم تأمين المكان .

ماريا :لقد فعلنا لكن لم نكن نعلم أنهم كشفو أمرنا.

ثم أصابتها الصدمة حين رأت أصيل أمامها كان مختلفاً كثيف اللحية بنظرات حادة ينظر إليها كالموت المستعدة لإنهاءها ،ارتجفت رعباً.

ماريا : أصيل ؟كيف هذا ؟هذا لا يصدق .

أصيل: بمزاج:مابك هكذا ترحبين بي ؟لم يعجبني ترحيبك لم تشتاقي إلي .

ثم بدأت الهجمات وتبادلات إطلاق النار .

"ديميتري"

علي أن أفعل شيئاً دون أن ينتبه أحد سأطلق النيران مباشرة في الصناديق واستغل الفرصة للهرب سأفكر قليلاً .

ثم أطلق النار في الصناديق بعد أن انشغل الجميع بالتصويب على بعضهم البعض وبينما يتواجه آرون وألكسندر حاولت ماريا الهرب فالوضع خطير والنيران تشتعل المخزن يكاد ينفجر لا وقت للهرب من يهرب يقتله الآخر .

يلحق بها أصيل:

إلى أين تهربين عودي الى هنا جهنم في انتظارك .

انفجر المكان وحاصرت النيران الجميع استطاع ديميتري الخروج بصعوبة ورأى من الخارج حمم اللهب تأكل كل شيء ومن في الداخل لا

يزالون إحياء لكن خروجهم صعب ،فتذكر أصيل والوعد الذي قطعه لمريم فعاد إليه ليجده يصوب مسدسه على رأس ماريا .

ديميتري: أصيل هيا لنهرب انجو بحياتك دعها تحترق.

أصيل: سأقضي عليها أولا وليحصل لي بعدها أي شيء لا يهمني.

ماريا : أصيل أنا آسفة اجعلك تعيش هذا خالي من هددني لذا قمت بغدرك كنت خائفة.

أصيل:خالك صار خالك بعد أن كنتي تريدين قتله بيديكي الغادرة .

ماريا : أصيل أنا أحبك ارحمني.

أصيل:اللعنة عليكي .

طاااااع

أطلق رصاصة اردتها قتيلة وبينما هي غارقة في الدماء سقط مغشياً عليه ،قتل من أحب بعد أن اعماه الانتقام ،حمله ديميتري وخرج وما إن وصت للخارج انفجر المكان بمن فيه .

"ديميتري"

انطلقت جهنم تحرق كل ما تجده أمامها الأسلحة الأموال الجاه والاسماء والسلطان كلها صارت سرابا سباق تسلح لا خير فيه قضى على أصحابه مات مخترعوها بسببها أرواحهم في رقبتي أعلم لكن سيتخلص من شرهم الأبرياء من بعدي وداعاً جدي ستلقى حسابك في الآخرة .

"الجزائر"

"بعد أيام"

عاد أصيل إلى موطنه الأصلي الى شمس الجزائر الدافئة بعد أن كان في جليد روسيا الجامحة التي لا ترحم عاد شخصاً آخر لا يثق بأحد ،يصارع حياة جديدة لا يملك فيها شيء.

أصيل:بلادي الجميلة الموت على أرضك حياة يا من فيكي قبر أمي ورائحتها ياليتني لم أغادر هل لي فرصة للعيش من جديد ؟لا أعلم لكني سأحاول .

بعد أن انقذني ديميتري وأحضرني هو ومريم انا أعيش متخفيا بهوية أخرى ،اريد استغلال الفرصة التي قدمتها لي الحياة لعلي ما فاتني ،اشتريت خاتما وسأتقدم لمريم هذه الليلة لعلها تقبل اعتذاري على كسر قلبها وخذلانها .

أنا أرتدي افخم لباس لدي مسرحاً شعري حاملا خاتما وورودا ذاهب إلى منزل مريم هذه الليلة .

وصلت الساعة التي يريد أصيل أن يتقدم فيها لصديقة طفولته المرأة التي أدرك أنها تستحق قلبه يصل إلى شارعها مترددا لم تعد لديه الشجاعة المعتادة وهناك تعرض لصدمة أخرى من صدمات الحياة.

كان ديميتري واقفاً وقوف الجبل الشامخ ينحني كرجل نبيل يحمل خاتماً بيده يقدمه لمريم الخجلة بسعادة .

ديميتري:امنحك هذا الخاتم وقلبي فهل تقبلين؟

مريم :بخجل :موافقة أقبل .

لتعم السعادة تحت أنظار أصيل الذي أوقع العلبة والورود وغلبته الصدمة ليخفي نفسه بين ظلام الأزقة الضيقة التي خبأت خيبته الأخيرة وغادر في صمت مؤلم اسود كسواد شعره وحياته وكل ما يعرف .

وفي نهاية القصة عاش البطل وحيدا

The end